أضواء على
طريق اليمنيين




محمد أحمد نعمان

# الاطراف المعنية في اليمن

أضـــواء عـــلى
طـريق اليمـنيين

# الأطراف المعنية في اليمن

والمسؤولية التاريخية التي تواجهنا اليوم في اليمن هي التوصل الى صيغة موحـدة لاهداف الشعب كل الشعب ..

واشاعة الفهم بين جميع الفئات لهذه الصيغة الموحدة ، التي ستحتاج حتما لكل القوى الشعبية كي تحققهـا وتحميهـا ، بقناعة واعية واصرار دائم رصين .

محمد أحمد نعمان

منشورات مؤسسة القبان وشركاه

دونما إشارة
أو رضوخ..!

تختلف مواجهة الباحثين للمواقف السياسية ذات الاسباب المعقدة لنشوئها وتكوينها ، اختلافاً كبيراً من شخص لشخص.. ويتحكم في أسلوب المواجهة التكوين النفسي والفكري للشخص، كما يؤثر في أسلوبه الى حـــد بعيد ، الظروف التي تحيط بـه ، وتمكنه من معرفة أوجه الحقيقة ، والجهر بما يعرف .

وتتفاوت طرق المواجهـة لهذه المواقف تفاوتاً كبيراً بـين الرفض والقبول ، فهناك من يعمد الى إثارة المشاعر ضد المواقف التي يرفضها داعياً لإنكار شرعيتها ، حاملاً على صانعيها ؛ تنفيساً عن آلام مكبوتة في نفسه ، وإثارة للآخرين كي يهدموا الموقف على رؤوس صانعيـه أو بعضهم ، ممن تتجـه ضدهم مشاعر المثير المهيج ، أو تسهل عليـه إثارة الآخرين ضدهم .. وسواء قدر لمن ينهج هـــذا السبيل النصر او الهزيمـة في محاولته تلـك ، فانه لا يتراجع عنها ولا يرتضي لها بديلاً ، فان انتصر فبطل عظيم ، وإن فشل فشهيد كريم ، ولن تفقد طاقته للتوتر العنيف صيغة محتدة تصوغ به نهايته على كلا الحالين .

وهنـاك من يستبد به إحساسه بالعجز ، وتشبثه في الوقت ذاته بالوقوف على أرض المسرح ، ولو كلوحة من ألواح واجهـة المسرح ، قانعاً من الأمر بالسلامة ، متخذاً من مسوح التعقـل ، وتقبل الأمر الواقـع على علاته منهجاً لسلوكه ، ثم تدفعه رغبة العيش في سلام لمواقف انتهازية ، تصبغ له كل يوم لوناً ، وتصنع له في كل حين شعاراً .

وبين الأسلوبين .. أسلوب الرفض والقبول درجات .. كما ان الرفض والقبول قد يتسع مجاله ويضيق ، بالنسبة لأبعاد أية قضية من القضايا ، واستعدادات كل شخص ، بحسب تكوينـه النفسي ومقدرته العقلية على اصطناع التبريرات لموآءمة موقفـه مع التيارات المتناقضة عنه .

والتزام أحد الأسلوبين لا يؤدي عادة الى الحلول السليمـة الواقعية ، لأن رفض الواقع أساساً للبحث والمعالجة ، ومحاولة فرض نظرة معينة ، وحلول ذاتية قائمة في ذهن الإنسان وفق احلامه ، لا تعدو ان تكون ضرباً من ضروب الخيال والهوس ، وأسلوباً من أساليب القفز في الظلمات ..

والإقتناع بالواقع السيىء الأليم كما هو ، ومحاولة التواؤم معه دون مس لأصوله او مظاهره ، إنمـا هو خضوع واستسلام ، يلغي الفوارق بـين الإنسان والحشرات الضعيفة ، التي تعيش دواماً في الأوحال بلا تقزز ، ولا اشمئزاز .

**وإنما يكون سبيل المعالجة السليمة أن يراعى الواقع على أصله كأساس قائم ، مع اعتزام التطوير والتغيير الى الأفضل بحسب ما تطمح اليه أحلام المحاولين ، وتتجه اليه أفكارهم .**

وفي اليمن .. حيث تحتد معركة من معارك الصراع بين فئات مختلفة ، وتسيل الدماء فيها بلا قياس كل يوم ، يتوزع الكثيرون مواقعهم بين هذين الأسلوبين العقيمين ، وكل فريق لا ينظر إلا لموقعه الذي يعتبره حجر الزاوية ، وأساس المشكلة كلها ، رافضاً قبول وجهة نظر غيره ، معتبراً لها مجرد ادعاء باطل لغمط حقه ، وطمس وجهة نظره .

•

وانفعالاً بهذه الحالة وجدتني مدفوعاً للقيام بهذا العرض لأبعاد المشكلة اليمنية جميعها ، كما أتيح لي أن أراها من خلال العمل السياسي ، سواء داخل أجهزة الحكم او خارجها .. وإذا كنت قد استعرضت كل التناقضات ، فليس الغرض إثارة أحقاد، او نبش ذكريات ، ولا تعميق الشعور السلبي الضعيف ، الذي يقول لا فائدة في المحاولة فهكذا صنعنا القدر ، ولا بد من وضع الحلول على أساس استمرار الواقع هكذا .

إن هناك من يفزع أشد الفزع لمجرد ذكر الفروق الموجودة في الإعتبارات بين أبناء الشعب ، ويعتبر ذلك عملاً ضد الوحدة

الوطنية يقصد به التمزيق والتجزئة ، وتقسيم الشعب الى شيع وطوائف وأحزاب .. ويعتبر أية محاولة لبسط المشكلة من هذا القبيل إثارة مخربة .

وهناك آخرون يرون الحديث عن هذا الفريق او ذاك ، او هذه الطائفة او تلك ، حرفة يحترفونها ، ويعيشون عليها ولها ، ولا يدور في بالهم رأي او فكر إلا في حدود الطائفة او السلالة .. فكل ما هو للطائفة حق وخير ، وما هو لغيرها باطل وشر ، وإثم مبين يجب ان يقضى عليه .

والموقفان – على الأقل في تقديري – لا يقتربان من المشكلة ، ولا يساعدان على حلها .

إن تجاهل الواقع لا يمكن من الفهم الذي يساعد على الحل ..

والتمسك بالواقع ، والانطلاق منه للاستمرار فيه ، جمود يثبت المشكلة ويرسخها ، ولا ينتقل بنا خارج حدودها ..

والسبيل الأوفق في الامر ان يستعرض الواقع على ما هو عليه ، ليغير هذا الواقع بهدف إزالة السوء فيه ، وليس نقل سوئه من فريق الى فريق .

لقد استأثر الهاشميون بالسلطة أجيالاً .

هذه حقيقة في واقع اليمن وتاريخه .. فهـل يكون الرد أن يستأثر بالسلطة غير الهاشميين أجيالاً جديدة ..

**إن السوء في الاحتكار والاستئثار ، ورفض هذا السوء يستوجب ألا يمارسه فريق جديد ، وأن تنهج نهجاً مضاداً للاحتكار والاستئثار ذاته .**

●

ولقـد اعتبر الفلاحون والتجار طبقة أدنى من الفقهاء والعساكر ، فهل يكون رد الفعل السليم أن نعكس الوضـع ، فنضـع هؤلاء محل أولئك .. أم نقر الأمور على ما عليـه .. وأمرنا وأمرهم لله الواحد القهار ..؟

ليس هذا ولا ذاك ..
وإنما هي سبيل سلام واحدة ..
سلام لليمن وشعبها ..
اليمن . كل اليمن ..
وشعب اليمن .. كل الشعب ..

وذاك السبيل هو سبيل الاعتراف الواعي المخلص بكل الفئات ، على أساس يمنيتها أولاً وقبـل أي اعتبار آخر ..

الهـاشمي . .
والقحطاني . .
الزيـدي . .
والشافعي . .
التهـامي . .
والجبـلي . .
الرعـوي . .
والقبيـلي . .
العسكري . .
والتاجر . .
الفقيـه . .
والكاتب . .
الضـابط . .
والشيـخ . .

كل هؤلاء يمنيون أولاً وقبل كل شيء ..

●

وقبل أن يوجد عدنان وقحطان ، وجدت أرض اليمن مجال حياة للبشر الذين يعيشون عليها ..

وقبل أن يكون زيد والشافعي وجدود جدودهما ، كان شعب اليمن .. كل الشعب موجوداً على أرض اليمن .. كل اليمن .؟

والسياسة .. سياسة الإقتصاد والإجتماع ، ليست غير أسلوب العمل الذي يكفل للشعب حياة هانئة على أرضه ..

ولن يكون الهناء بدون الحب ..

ولن يكون الحب بدون اليقين القاطع أنه بدونه سيكون الفناء . وما من سبيل للفناء والاندثار ، أقصر من سبيل التمزق والتناحر ، وتحول الواحد الى أطراف متعددة ..

فمن أجل البناء ..

من أجل استمرار وجودنا كبشر على أرضنا ،

كشعب في وطن ..

يجب ان تحول الاطراف المعنية ، الى طرف موحد الشعور والوجدان .. ينطلق بطاقاته للبنـــاء والتعمير ، في سرور وغبطة ، بدل استنزافها في أعمال الفناء ، التي جاءت تعبيراً قاصفاً ، عن الحقد والكراهية والهموم التاريخية السوداء .

●

ولربما ضاق الكثيرون بما تحويه هذه الدراسة ..

ولكني مطمئن الى أن كثيرين آخرين ، سيجدون فيهـــا دعوة مخلصـة لتحطيم الاسطوانات المشروخة التي أزعج بها

أسماعنا لوقت طويل كثير من المرضى والعاجزين والمشوهين ، فأفسدت علينا متعة حياتنا وجمالها ...

فإلى الضائقين بنعيب البوم والغربان السوداء على أطلالنا .

وإلى الحالمين بيمن مستقر موحد ، نبني الحياة فيه ونغني ..

أقدم هذه المحاولة آملا أن تكون شعاعاً في الظلمات السوداء والحمراء التي تجتازها مسيرتنا .

القاهرة : مارس ١٩٦٥ محمد احمد نعمان

# .. ولمـــاذا القتـــال..؟

من البديهي أن المرء لا يرفع صوته في حديث إلا حين يحس بأن ما يطالب به معرض للنكران ، فهو يحاول برفع الصوت أن يؤكد صواب ما يدعو إليه ويطالب باقراره ، سواء كان ذلك الأمر معنوياً او مادياً . ويشتد الصخب والضجيج عادة كلما قويت محاولة غمط الحق ، واشتد حرص صاحبه عليه ، وقد يحدث الشجار ويستخدم العنف من أجل الوصول الى إقرار ما يدعيه المدعي .

والشعوب حين تلجأ جماعات فيها الى استخدام العنف من أجل إرساء أسس جديدة في حياتها ، او تغيير لنظمها القائمة ، إنما تفعل ذلك مستجيبة لرغبات عامة عند جماهير الشعب للإطاحة بنظام معين ، او هي مستغلة لمشاعر الضيق الحبيسة في نفوس الجماهير فتصور لها أن ضربتها القاضية للنظام القائم هي الخلاص لها مما تعانيه وما تشكوه .

وما أحسب التاريخ قدم لنا ثورة سياسية أو انقلاباً في شعب

من الشعوب لتغيير نظام الحكم في حين يكون فيه ذلك الشعب مرتاحاً رضي النفس بما يلقاه في ظل ذلك النظام ، وهكذا كان شأن الشعب اليمني قبل قيام الحركة الأخيرة التي قام بها شباب الضباط يوم ٢٦ / ٩ / ١٩٦٢ م .

●

غير أنه من حق الكثيرين ان يتساءلوا عن مدى صحة هذا القول بالمقارنة لما قام من حروب ومعارك دامية خلال الثلاثين شهراً الماضية في اليمن في محاولة تثبيت النظام الجديد ، وماذا عساه يكون الباعث على ذلك إذا كانت المشاعر الجماهيرية في اليمن معبأة بالفعل ضد النظام الإمامي .

حقاً لقد كانت المشاعر معبأة ضد النظام الإمامي ، ولكن بواعث السخط والضيق بهذا النظام كانت تختلف من منطقة لأخرى في اليمن بحسب ما تواجهه من أساليب التعامل الذي يصطدم بأحلامها ومصالحها ومطامحها ومطامعها أحياناً ، فلما وجهت الضربة للنظام الإمامي تقبلها الجميع وانتظروا الخطوات التالية ليروا هل ستحقق ما كانوا يتطلعون إليه من وراء القضاء على نظام الإمامة أم ستكون مناقضة لها .

إن مكنونات الأحداث التي تلاحقت على أرض اليمن بعد يوم ٢٦ / ٩ / ١٩٦٢ قد كانت كامنة في قلب المجتمع اليمني تتطلب

لحظة الإنفجار لتنفلت من عيارها بلا بصيرة ولا انضباط ، تأتي على كل ما تلقاه في طريقها بالحق والباطل ، ولم يكن هذا خفياً على العاملين في القضية اليمنية من الاحرار اليمنيين قبل اندلاع النار ؛ بل كان يقيناً ثابتاً ، ورأياً واضحاً صريحاً سبق وأن أشير اليه في كثير من المجالات ، ومما جاء في هـذا السبيل ما ورد في الصفحة ٣٣ من التقرير العام للاتحاد اليمني عن الفترة ما بـين ٢٦ يوليو ٩٥٧ و ٣ سبتمبر ١٩٦١ إذ تشـير هذه الصفحة لاختلاف بواعث الشكوى عند المواطنين اليمنيين فتقول :

« وأول نقاط البدء أن تدرس في وضوح بواعث الشكوى عند المواطنين على اختلاف مناطقهم دون تعميم او إدماج ، لأنه مما يعز على الجدل تباين أشكال الحكم في مناطق اليمن .. تدرس بواعث الشكوى من حيث تقدير المواطنين أنفسهم لها ، سواء كانت تقديرات صحيحة او خاطئة .

« ثم تفسر الاسباب الحقيقية لهذه الشكوى بحسب النظرة الشاملة التي كان الرعيل الاول يفتقدها عنـد مطلع الحركة ، وتيسرت لنا بفعل الامتزاج والتقارب الذي يسرته السجون المشتركة ، واللقاءات الحرة المنطلقة .

« ثم تقيم المشاكل التي أحدثها سوء الحكم بحسب أهميتها على نطاق وطني لا محلي ، ليركز في المعالجة على الأهم فالمهم » .

ولمزيد من البيان في هذا المجال نرجع الى الصفحة السابعة والعشرين من نفس التقرير ، حيث أورد ما يلي :

« وصاحب انقطاع الصلات بين المستنيرين ، عدم تعرف كل منهم على احوال مواطنيه في المنطقة التي يعيش فيها الآخرون فالانتقال بين مناطق اليمن لا يتم إلا بمشقة كبيرة لا تتيسر إلا أمام الموظف الحكومي الذي ينقل بأمر الحكومة من منطقة لأخرى . وقد زاد هذا الجهل لبواعث السخط المتعددة ، زاد من اختلاف وجهات النظر في الحل المطلوب ، إذ أن المشاكل التي يعاني منها المواطن في « تعز » « واب » مثلاً ، غيرها في « صنعاء » او « تهامه » ، وبالتالي أصبح انفعال المستنيرين المضاد للأوضاع متبايناً ، واختلفت الترسبات في نفوسهم من الحال ، فالمستنير في « تعز » مثلاً ملتفت بحساسية مفرطة للمظالم التي تنصب على الفلاح بفعل العسكري والمأمور ، والمستنير في « صنعاء » متضايق من الكبت الفكري بسبب التزمت الديني والتعصب السلالي » .

●

ولكن يا ترى ما هي الأحلام المختلطة ، والآمال المتناقضة المتصارعة في نفسية الشعب اليمني ، والتي جاءت تفجيرات مروعة على مدى ثلاثين شهراً والبقية تأتي ..؟

## الرعيـــة والقبائل

إن انقسام اليمن في غالبيتها الى بدو وفلاحين ، وضعف نشوء الطبقة التجارية بسبب قلة الفائض من الإنتاج العام الذي يتيح الفرصة الواسعة لتبادل تجاري مع الخارج ، وانعـــدام الصناعة الحديثة وانقراض الأعمال الحرفية القديمة ايضاً .. كل ذلك خلق علاقات إنتاج متخلفة بـــين المواطنين ، وأورثهم أفكاراً سياسية واجتماعية رجعية توجه نظرتهم لبعضهم بعضاً وللحياة والبشرية أجمع .

وطبيعي أن هذا الانقسام الى بدو وفلاحين لم يكن انقساماً إختيارياً صنعه الناس لأنفسهم وفق خطة فكرية او هوى في نفوس البعض منهم وإنما هو فعل الطبيعة نفسها في الارض المجدبة التي صنعت البداوة ، والارض الخضراء التي أتاحت فرصـــة الفلاحة .

ولما كانت الحاجة أم الاختراع كما يقولون فان جدب مناطق الشمال قد حصرت مجالات الرزق في الرعي الذي يشكل سلوكاً معيناً للرعاة متسماً بعدم الاستقرار ، والميل الى العدوان المولد

لمشاعر الحذر والشك والارتياب في كل ما يتصـــل بالمرء من أشياء يمكن أن تدل على عدوانه او محاولته العدوان بالتسلل من منطقته الى مناطق الآخرين كي ترعى حيواناته التي يعتمد في حياته عليها .

ولما كانت مجالات الرعي محصورة نظراً لعدم وفرة الأمطار ، ولم تكن متوازية في سعتها مع تكاثر السكان الذين يتوالدون سنة بعد سنة ، فقد كانت الهجرة المؤقتة والمستديمة من المواطن المجدبة الى السهول الخصبة في الغرب والجنوب ، هي المنفذ الذي يتنسم منها الشماليون والمشارقة نسمات الوجود ، ويلتمسون فيها المقدرة على مواصلة الحياة .

وبالنفسية البدوية العنيفة المستريبـــة المستوحشة تدفقت سيول الهجرة نحو السهول الغربية والجنوبية ، لتُوَاجَه بمشاعر الفزع الناتج عن المباغتة العنيفة ، فقد انداحت الأفواج المتلمظة الأفواه ، المتحلبة الشفاه ، تريد ان تأتي على الاخضر واليابس لتعوّض عن مجاعتها التاريخية وحرمانها الطويل ، ولذلك لم يأت الانتقال من منطقة لمنطقة عملا عفوياً سمحاً وإنما اتسم بطابع الغزو الذي لم يفقد على مختلف العصور مبررات او أسباباً . فقد أعطته الصراعات الدينية القديمة والحديثة ، الرايات العديدة التي يستطيع ان يرفعها فوق رأسه وهو يبحث عن لقمة العيش بحد السلاح .. !

وفي هذا المناخ النفسي ، وتحت وطأة هذه الظروف المعيشية القاسية نشأت دويلات يمنية متعددة تعتمد في أساس وجودها على استغلال احتياجات القبائل البدوية للاندفاع من مواقعها الأصلية نحو الأراضي الخضراء ، فخلقت لها المبررات العقائدية لجعل الاغتصاب والتسلط شرعياً ، وكأن الصراع ليس من أجل توفير إمكانيات العيش ، وإنما من أجل « إعلاء كلمة الله » ، « والجهاد في سبيل الله » بين مؤمنين حقيقين ومؤمنين زائفين .

لقد كان ضياع مفهوم الوطنية ، وعدم الاقتناع الواعي بأن اليمن جميعاً مجال الحياة لكل أبنائه ، هو الدافع لاشراك السماء في صراعات الارض ، وجعلها وكأنها هي المحرك لهذه النوازع ، كما أن البساطة والوضوح في عهد الفروسية لم تكن بالقدر الذي تتيح إعلان البواعث الحقيقية للغزو ، وأنها طلب للرزق وليس لما يسمى « المجد » و « العظمة » . واذا كان البحث عن التبريرات المعنوية المثالية كالحرص على تمدين المتخلفين وحماية الأقليات المستضعفة من طغيان الأغلبية المستأثرة بالخير والسلطة في هذا القطر او ذاك .. اذا كان ذلك الإدعاء قد رافق حركة الاستعمار الاستغلالية فقد كان من الطبيعي ان يكون الحال كذلك في التنقلات البشرية من منطقة لأخرى في المرحلة التاريخية التي سبقت الاستعمار الغربي وفي البلدان التي لم تتصل بالعقلية الأوربية الحديثة وظلت في عزلتها القديمة .

## الشـــيعة والنواصب

وفي اليمن تم لقاء عجيب بـــين هذه الظروف الاقتصادية المتناقضة وبين نفسية العلويين الهاربين من بطش أبناء عمومتهم العباسيين وقسوتهم البالغة عليهم، والمتجاوزة للحدود الانسانية.

لقد قدمت طلائع الأئمة العلويين الى اليمن قبل إحدى عشر قرناً، تريد أن تنجو بنفسها من العذاب الشديد الذي كانت تلقاه في بغداد .. وكانت القسوة في التعامل بين العباسيين والعلويين قد بلغت حد رمي العلويين أحياء في الآبار التي لا يجدون منهـــا منفذاً، او بناء الجدران عليهم أحياء، هم وأبناؤهم، فاتسمت نفسيات من نجا منهم بالحقد المرير على الوجود والقسوة على كل من يقع في ايديهم ممن يعترض سبيلهم.

وفي هذه الأثناء لم تكن اليمن خاضعة لحكومة موحدة، بل كان السهل يخضع لحكومة، والجبل لأخرى، والاثنتان في حال صراع ومناوشات دائمة، يريد «الجبلي» ان يضاعف من محاصيله بالاستيلاء على «تهامة» .. ويبذل «التهامي» أقصى جهده للحفاظ على ما بين يديه، ويقوى على ذلك زمناً فتسوء

أحوال الجبال ، ويشيع التنافر بين رجالها فيلجأ بعض منهم الى ( المدينة المنورة ) كي يأتوا بأول إمام الى ارض اليمن من أبناء رسول الله ليحاربوا تحت رايته ( النبوية ) ( الهاشمية ) بني عمومتهم في الجبال أولاً ، ثم ليتجهوا صوب بقية الأنحـــاء ( ليعلوا كلمة الله ) و (يثبتوا دين محمد بن عبد الله ) ( وينصروا أحفاد رسول الله ) . ولم تكن « كلمة الله » ، ولا « دين محمد بن عبد الله » ولا « أحفاد رسول الله » ، في الحقيقة غير الجوع الشديد الذي توارثه هؤلاء وعاشوه في أرضهم الشحيحة .. ولم تكن كل هذه الدعاوى غير جهل بحق المشاركة الطبيعية بين المواطنين في خيرات البلد كلها على أساس العمل المشترك للاستثمار والانتاج .

ولم يكن الوعي السياسي عند الأئمة آنذاك بقادر على تخطي هذه الحدود ، فلجأوا الى تجنيد هؤلاء الشيعة المناصرين من اجل فرض سيطرتهم على بقية المناطق بالقوة وحد السلاح، وباستمرار المحاولات على هذا النمط رسخت هذه الأساليب وتعمقت في نفسيات الطرفين مشاعر متضادة لم يتح لهـا في فترة من فترات التاريخ ان تهذب او تعدل ، وكان انفلات المناطق الخصبــة لبعض الفترات التاريخية من تحت سيطرة الأئمة او على الأصح من استغلال اهــــل الجبال لها وبالبغي والقسوة ، مثاراً لاستمرار المحاولة من جديد على شكل صراع دامٍ مزق اليمن في كثير من الاحيان الى عدة دويلات ، كل منها يحاول ان يسيطر على بقية

أجزاء البلاد ، حتى أنه لم يقدر للبلد ان تتوحد كلها في ظـــل حكومة مركزية غير ثلاث مرات خلال الإحدى عشر قرناً الماضية ، ولم تكن ليطول بها الامر إلا ريثما تعود للتمزق من جديد ، واذا ما تم التوحيد والسيطرة المركزية فان أسلوب الحكم يكون مطبوعاً بالميراث الأصيل وهو تحكم الجهـــة التي تستطيع السيطرة على بقية الجهات ، واحتكار السلطة دون الاخرين ، ومعاملتهم معاملة العدو المنكسر ، وليس المواطن الشريك في الخير والحياة .. وسواء كان المنتصر شمالياً او جنوبياً فان الاسلوب العدائي في التعامل لا يتغير .

وكان العهد المتوكلي الذي دام اربعة واربعين عاماً بين ١٩١٨ و ١٩٦٢ هو آخر ما وصل اليه نظام الحكم المتعصب في اليمن من لطف وتهذيب ، في التعامل مع المواطنـــين وتوجيه العلاقات فيما بينهم .

وكما هو معروف استهل العهد المتوكلي أعماله بتسيير مجموعات من قبائل الشمال نحو الجنوب للاستيلاء على المراكز فيها ، والقيام بجباية الزكوة ، والمحافظة على الأمن هناك ، وجعل على رأس هذه القبائل أشخاصاً من المتعصبين للسلالة الهاشمية ، المؤمنين بحقهم المقدس في الاستئثار بالسلطـــة ، والحاقدين على الذين لم يتعصب أجدادهم قبــل مئات السنين لحق علي بن أبي طالب في الخلافة من بعد الرسول هو وأبناؤه وأحفاده وأحفاد أحفاده .. !

وبالعقلية والنفسية الشيعية أديرت الأمور وأقيمت العلاقات بين الحاكمين والمحكومين ، وكان الطابع الديني هو الغالب على كل التصرفات والتحركات ، وكان القبيلي الجنـــد تحت لواء الامام ، والذي قدم من شمال صنعاء الى سهول تهامة وأب وتعز والبيضاء لا يسمى جندياً بل مجاهداً في سبيل الله ، وعلى هذا الاساس أبيح له ان يسكن في مساكن الاهالي بالقوة حتى لو ادى الامر – وكثيراً ما كان يؤدي – الى إخراج رب المسكن ليحتله المجاهد في سبيل الله ، ويفرض على الزوجة ان تتولى خدمته وإطعامه ما يختار من طعام ..

وليس هذا بالامر المجهول بل هو شائع العلم كما يصوره الحوار الشعري الذي أداره الاستاذ الزبيري : بين العجوز والعسكري في إحدى قصائده إذ يقول :

(العسكري) : أين الدجاج .. وأين القات فابتدري
إنا جياع ، وما في حيكم كرم
( العجوز ) : يا سيدي ليس لي مال ولا نشب
ولا ضياع ولا قربى ولا رحم
إلا بُني الذي يبكي لمسغبـة
وتلك أدمعه الحمراء تنسجم
(العسكري) : إني إذن راجع للكوخ أهدمه
يا شافعية ، ان الكذب دأبكموا

وكم من اكواخ هدمت او احرقت لأن فلاحاً او فلاحة اعتذرت بالفقر عن تلبية الرغبات المسعورة للجنود ، والتي لا قبل لأحد بها ، ولا تزال اليمن كلها تذكر احراق قرية « الحوبان » سنة ١٩٥٥ بفعل الجنود الذين ارادوا اغتصاب حزم الحطب من الفلاحين ، فدافعوا عنها ، ثم عاد الجنود ليقاتلوا الأهالي ويحرقوا قريتهم ، ويأتون بعد ذلك ليتستروا على فعلتهم هذه بادعاء الثورية والعمل ضد الطغيان !

★

## رافضي في ناصبي

لقد وجه الامام يحيى قبائل الشمال التي حاربت تحت قيادته ضد الاتراك ، وجه هذه القبائل نحو الجنوب ، و « تهامه » ، بدعوى المحافظة على الراية المحمدية في بلاد ( كفار التأويل ) و ( إخوان النصارى ) ليسلم هو نفسه من شر القبائل الشمالية ، التي تريد ان تعيش دون ان تعمل في الحقول ، لان الفلاحة في تقديرها عمل غير شريف مثل القتال ، انسجامـــاً مع المفهوم البدوي لمعاني الشرف .

وللانصاف فان الامام يحيى لم يشأ بهذه الوسيلة ان يكرم الشماليين او أنه تصرف هذا التصرف تحت دافع الحب والحرص على مصالحهم، والرغبة في رد جميلهم ، لانهم جاءوا به الى العرش .. وإنما اراد ان يضرب جناحاً بجناح ، وأن يصرف انظار الشماليين انفسهم عما تعانيه مناطقهم من تخلف يستوجب بذل جهود كبيرة للخروج بها من حالة العقم والجمود الى حالة الانتاج والتحرك .

ولم يقف به الأمر عند هذا الحد . بل إنه أثار بـــين قبائل

الشمال نفسها المشاكل العديدة ، سواء بين القبيلة وجارتها ، او بين أجنحة القبيلة ذاتها .. وطبيعي أنه لم يخلق اسباب الخلاف من العدم ، فالمجتمع القبلي بطبيعته حافل بالتناقضات العديدة ، ولكنه استخدم هذه التناقضات لتظل القوى مشغولة ببعضها ، ولم يحسم اشكالاً على الاطلاق ، وقد كانت المحاكم الشرعية أداة هامة من ادواته التي استخدم بها تعقيد المشاكل ، حتى لتظل بعض القضايا ثلاثين عاماً يستصفي خلالها القضاة اموال الفريقين ويضيع اصحاب القضايا خلال المنازعات ويفتقرون ويتشردون ولا تزال القضية معلقة .

★

## ناب كلب .. في رأس كلب ..!

وكما استثار الخلافات بين القبائل وفي داخلها ، استثاره عن طريق المحاكم ، والإدارات ، وقيادة الجيش ، بين أفراد القبائل وبين ابناء المدن الشمالية نفسها ، فالمقيمون بصنعاء من قضاة ، وموظفين ، او كتبة في دوائر الجيش ، كل هؤلاء في ظل العهد المتوكلي كانوا محل نقمة دائمة من ابناء القبائل الذين يتعاملون معهم ، إذ يستلبون ما في جيوبهم ويسيئون اليهم ، ويحقرونهم في المعاملة والمخاطبة ، وخلال التاريخ الإمامي الطويل تعرضت صنعاء نفسها للنهب والحريق والتدمير على ايدي القبائل الشمالية نفسها عدة مرات ، لأن العلاقات التي أقامها الامام يحيى لم تكن من صنعه هو وحده ، وإنما كانت استمراراً للعلاقات التي حددها الأئمة السابقون من قبل بوحي من ظروف البلاد المتخلفة ، وعقليتها الأثرية ، وتفكيرها البدائي العاجز عن إدراك طبيعة التناقض الانساني مع الطبيعة في الشمال ، مما أدى لتحويله الى تناقض بين الانسان وأخيه .

ومما يمكن ان يستدل به على تاريخية هذه العلاقة بين القبائل وبين الأئمة ومن ارتبط بهم من العمال ، والقضاة سواء كانوا هاشميين او غير هاشميين ما قاله السيد احمد بن شرف الدين القارة في احدى قصائده قبل مائة عام :

القبيلي عدو نفسه ... صِدْقْ ، قد قالها المجرب
كم يطيش في الضلال حِسّه ... حِين تَشرُق وحِين تغرُب
حقْ برميل يسُدّ نخسه ... ويدِزّه ، وهْوُ مُسنّب
وبشامق تِدُوسْ ظهره ... وفِرَقْ ، كل يوم فرقة
وزناجير تفُكّ صدره ... كل حلقة تَلُزّ حلقة
وحُزَم أثْلْ تكدّ حجره ... كل ضربة تشل نتفة
ما عليك في الجميل ملامة ... لك ثواب تبعد الشناعة
لا تُرَجّي لِهْ السلامة ... لا ، ولا تطلب الشفاعة

●

وعبر التاريخ الطويل لم تختلف هذه النظرة في القبيلي عند المسئولين الاماميين المقيمين في صنعاء ، وبالتالي عند اهل صنعاء أنفسهم نحو القبائل ، مما مكن للاحقاد التي تتفجر في شكل

حرائق واغتصاب وتدمير ونهب لصنعاء كلما واتت الفرصة القبائل تحت اي مبرر من المبررات .

ولقد كان شعار الأئمة في إثارة هذه التناقضات واستغلالها التعبير الشائع الذي يقول ( ناب كلب في رأس كلب ) ..! ( واشغل القبيلي في نفسه قبل ما يشغلك ) ..

★

## الهاشمية والقحطانية

وداخل صنعاء نفسها .. المدينة الأولى في اليمن ، والتي حظيت في عهد الامام يحيى على الخصوص بالمكانة العليا ، ومنحت أبهة وجلالاً ، لا تدانيها فيه أية مدينة يمنية أخرى ، واعتبر ابناؤها والمقيمون فيها رجال الدولة ومسيريها ..

صنعاء من الداخل .. وبعيداً عن صراعاتها التاريخية مع القبائل الشمالية ، او مع المدن الاخرى في بقية الألوية .. صنعاء هذه ، كانت تصطرع في داخلها تناقضات مختلفة ومتعددة تتناوب على فترات الحدة والبروز .

ولما كانت كعبة الرواد .. رواد ( المقام الشريف ) أو ( العتبة الخضراء ) كما كان يطلق على مقر الامام يحيى ، فقد استقر بها على مر الأيام القادمون من عديد من الجهات ، وعلى الأخص في مناطق الشمال « كصعدة » و « شهارة » و « خمر » و « حوث » ، فأضافوا عاملاً جديداً من عوامل تنوع

المتناقضات الصنعائية الذاتية ، شأن صنعاء في ذلك شأن أية عاصمة من العواصم التي لا يمكنها أن تغلق على نفسها مجتمعها الخاص بها ، لا تتقبل وافداً اليها . ولكن هذا التوافد الدائم واختلاط أشتات عديدة ونماذج بشرية مختلفة ، هو الذي يعطي العاصمة في العادة شخصية متميزة عن سائر المدن الاخرى ، كما أن استمرار الروافد البشرية في تدفقها الى حوض صنعاء جعلها في حالة تفاعل دائم ؛ غير أن التغييرات والتطورات لا تظهر في المجتمع الصنعائي بسرعة ، لأن الحركة من حولها وإليها متسمة بالبطء ، كما أن الوصول اليها وخلال أيام الامام يحيى بالذات ، لم يكن يحدث إلا اضطراراً لحل مشكلة استعصى على الحكام المحليين حلها ، أو هم جعلوها مستعصية الحل ، أو لطلب وظيفة من الامام خارج صنعاء وليس داخلها ، ولذلك فلا يستقر في صنعاء ويقيم فيها الاقامة الدائمة غير من حصلوا على مجالات عمل خارجها ، إذ يكسبون ما ييسر لهم شراء عمارة أو سكن لهم داخلها من العمال والحكام ، الذين قدموا أساساً من المدارس العلمية أي المدارس الملحقة بالجوامع على غرار الأزهر القديم جداً جداً .

ومع المدى تكون ما يمكن أن يسمى بالمجتمع

الصنعائي الذي تتألف طبقته الأولى او ( عليـــة القوم ) كما كان يقال من الهاشميين الذين أسهموا في المعركة مـــع الامام يحيى ضـــد الأتراك ، وهؤلاء هم الذين كان يطلق عليهم السادة ، ولا يصح ان يطلق لقب السيد على غـيرهم أي على غير الهاشميين .

ولم يقتصر الأمر على احتكار السيادة لفظياً ، وإنما ارتبط هذا بحق رئاسة الدولة ، إذ لا يجوز شرعاً في منطق الامامة أن يكون رئيس الدولة غير هاشمي وفاطمي .

وتبع هذا التفريق في المعاملة ، فمن واجب سائر المواطنين ان يقبلوا أيدي السادة عند المصافحة ، وليس مفروضاً على أي سيد ان يقبـــل يد المواطن وإذا حدث أن احدهم فعل ذلك اعتبرت هذه فضيلة فيه عند بقية المواطنين ، وأصبح يقال عنه أنه « مناصف » اي أنه يتبادل التحيـــة مع الآخرين نصفاً بنصف ، كل يقبل يد الآخر . والتحية بتقبيل الأيدي في العادة إنما كانت بين السادة ومن يقترب منهم من المواطنين الوجهاء بين النـــاس ، أما المواطنون العاديون فالمفروض عليهم ان يقبلوا ركب الهاشميين ، واذا أراد الهاشمي ان يرد على هذه التحية ، فليس بأكثر من وضـــع يده على كتف المواطن المتقوس الظهر أمامه وهو يقبل ركبتيه .

وطبيعي أنه بقدر ما تقوى صلة أسرة من الأسر الهاشمية بالامام يحيى بقدر ما يغالي افرادها في التمسك بهذه القواعد في التعامل مع الآخرين ، والتشدد على المواطنين في مراعاة قواعد البروتوكول الخاص بهم ، والى جانب بيت حميـد الدين اي اسرة الامام يحيى نفسه ، وقفت بضعة أسر هاشمية وأشخاص هاشميون بعينهم لم يقووا على تكوين أســر ، فكانت بيت الوزير ، وبيت عبد القادر ، وبيت إبراهيم ، وبيت إسحق ، وقد كونت هذه الأسر الارستقراطية الهاشمية داخـل صنعاء بحكم النسب والعلاقة الوطيدة بالامام نفسه كما كان رجالها على رأس القبائل التي وجهها الامام الى مختلف انحاء اليمن الغربية والجنوبية اي البيضاء ، والحديدة ، وتعز ، وإب ، ومن هناك حيث استقر كبار رجال هذه الأسر لسنوات طويلة يعاملون المواطنــين على حسب مقتضيات الارث التاريخي من المشاعر العدائية بين مناطق الجبال والسهول مضافاً اليها أحقاد العلويين على من يعتبرونهم ( نواصب ) أي غير محبين لعلي بن ابي طالب وأحفاده ، مناصبين لهم العداء ، فاستصفوا ثروات الكثيرين من رجال هذه المناطق واستباحوا أخذ الرشوة ومضاعفـــة العقوبات المالية تحت اي مبرر ، جرياً على ما قاله احد أسلافهم من الأئمة ، اذ قال ( لا يؤاخذني الله إلا فيما أبقيته لهم ) ، وعن هذا السبيل للإثراء غير المشروع استطاعوا ان يشيدوا قصورهم

في صنعاء ، وأن يشتروا أملاكا وضياعاً واسعة وسعت من الفوارق وزادت من التفاوت في الاعتبارات بينهم وبين بقية المواطنين في صنعاء ، فتعرضوا بالتالي لامتصاص جانب كبير من نقمة الناس على الوضع الذي شاده الامام يحيى ، بل اصبحوا المشجب الذي يعلق عليه الناس خطايا الامام نفسه حتى شاع التعبير القائل ( أما سيدي صلوات الله عليه لكن المحوشين هم الملاعين ) .

ولما كان المؤهل الأساسي لترشيح المرء نفسه ليكون إماماً هو هاشميته ، أصبح كل هاشمي يحلم بالامامة حتى لقد كان اطفال الهاشميين يتحدى الواحد منهم رفيقه من ابناء عمومته وقرابته إن كان يستطيع ان يقسم بالله أنه لن يكون إماماً .. وما من واحد منهم بالطبع كان يجرؤ على هذا القسم لأنه لن يبر هذا القسم ، فهو مؤمن في أعماقه انه مؤهل لذلك المركز ، والاحتمال غير مرفوض أبداً في ان تؤول الامامة اليه ما دام هاشمياً .. !

وإزاء هذه الحالة الشائعة كان الامام يحيى يتكىء على عكاز آخر من غير الهاشميين الى جانب العكاز الاول المتمثل في الأسر الهاشمية التي سبقت الاشارة اليها .. وقد كان العكاز الثاني من القضاة الشرعيين ( غير الهاشميين ) الذين قوى مركزهم في ظل الامامة بسبب من تضلعهم في فهم الفقه

الشيعي ، ومناصرتهم المخلصة للامامة والامام ، فكوّنوا أسراً تضارع الأسر الهاشمية في المكانة الاجتماعية والأثر السياسي ، والثراء ، وفي مقدمة هذه الأسر الصنمائية غير الهاشمية او البيوت كما نسميها في اليمن : بيت العمري وبيت مطهر ثم بيت الجرافي والسرحي حتى لقد شاع في صنعاء مثَلٌ سائر يقول : « اذا اشتط السيد رقعوه بفقيه » ، « واشتط » هنا بمعنى « خرق او تمزق » والفقيه مقصود به قاضي غير هاشمي بمعنى أن الفقهاء هم احتياطيو الهاشميين في السلطة ..

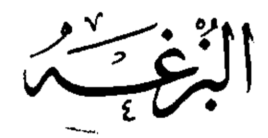
أراد الامام يحيى بابراز كبار هذه الأسر على مسرح السياسة ان يضع توازناً مع الشخصيات الكبيرة من الأسر الهاشمية ، الذين كانوا مؤهلين لمنافسته في الحكم بسبب النسب ، ومن خلال نقل الثقل من جانب لجانب في عملية الحكم ، ومحاولة الموازنة الدائمة بين هذا الفريق وذاك ، ثارت منافسات مستترة عنيفة بين الفريقين ومن يتصل بهما من الموظفين او ذوي المصالح ، كما كانت المنافسات ذاتها تحتدم داخل افراد كل فريق ايضاً لتحقيق مزيد من المصالح الذاتية المباشرة ، وبفعل المناورات السياسية بين الفريقين تولدت حزازات وأحقاد ، وتعمقت مع مرور الايام في نفوس المواطنين العاديين داخل صنعاء الذين تتألف غالبيتهم من غير الهاشميين ،

وكان كبار رجال الأسر غير الهاشمية يغذون هـذه المشاعر بحكمة وبراعة لا تثير عليهم حقد الامام ، فقــد جعلوا من أنفسهم خدمة وجنوداً للامام نفسه ، وليس للعصبية الهاشمية تحت دعوى عـدم الاطمئنان التـام الى ولاء الآخرين للإمام نفسه ، وبهذا استطاعوا ان يحافظوا على مراكزهم ، فيحققوا الأرباح يبتغونها لأشخاصهم ، كما أنهم استندوا الى قاعدة نفسية عند العامة في هــذا التمركز ، وهي أنهم يمثلون التحـــدي « القحطاني » في احتـــلال المراكز الكبرى في الدولة ضد الهاشميين الذين يعتبرون غيرهم مواطنين من الدرجة الثانية .

وبسبب هذا الشعور السائد داخـل المدينة استطاعوا أن يكروا ويفروا في علاقاتهم مع كبار الهاشميين ، وان يتفقوا ويختلفوا معهم ، وهم بمنجاة من الاحساس بالمشاعر المعادية عند عامة الناس داخل صنعاء ، وإن كان هذا لم يكن شأنهم مـع القبائل او المواطنين في بقية أنحاء اليمن ، لأنهم بالنسبة لهؤلاء لم يكونوا ليقدموا لهم عزاء نفسياً كما يفعلون مع أهالي صنعاء ، وإضافة لذلك فقـد كانت إدارة الاعمال وتسيير شئون الدولة المحلية داخل صنعاء ليست في ايديهم ، وإنما يوجهون الشئون العامة والسياسية ، في المجال الأوسع إذ يسيطرون على ديوان الامام نفسه الذي يوجه سـير الامور في كل انحاء البلد ، بينما

كانت امور صنعاء المباشرة منوطة « بعامل » الإمام من الأسر الهاشمية .. كما أنه لم يكن لأهل صنعاء من العلاقات المتشابكة مع الحكومة مثل ما لبقية المواطنين الذين يمونون الخزينة العامة بما يقدمون من ضرائب ، ولم يكن اهل صنعاء ليشكلوا خطراً على الدولة مثل القبائل الشمالية فتحتاج لخلق المشاكل القضائية بينهم ، او استخدام الارهاب والعسف في التعامل معهم ، ذاك لان هذه المدينة كما سبقت الاشارة تفتقد وحدة الشعور الداخلي لسبب تنافر مكوناتها البشرية المتوافدة من انحاء مختلفة بمصالح متضاربة وأحلام متضادة .

★


البرعم

ظلت تلك هي العلاقات داخل صنعاء في المرحلة الأولى لحكم الامام يحيى التي تمتد نحو عشرين عاماً ، كان خلالها لا يزال مكتمل الصحة ، قادراً على ممارسة الاعمال بإدراك ومتابعة شاملة وجهد لا يكل .

وقد كانت هذه الفترة مثار خلافات هنا وهناك ، وتمردات في بعض المناطق القبلية ، وكانت الدولة في بدء عهدها تحاول تثبيت سلطتها في كل أنحاء البلاد ، وترسخ من قواعدها ، ولذلك فقد اتسمت الصراعات السياسية ، والمنافسات بين رجال الدولة بكثير من الوقار والرصانة ، كما انطبعت ايضاً بالمناورة الطويلة المدى ، والمتحركة في هدوء ، والتواء ، وتسلل .

وكان الامام يحيى خلال هذه الفترة يدرب أبناءه على ممارسة اعمال الدولة من خلال تكليفهم العمل في ديوانه هو بصنعاء ، او الخروج للناس في صنعاء نفسها ، لحل مشاكلهم ، وكلما إطمأن الى سلامة تصرفات الواحد منهم ، عينه حاكما لمقاطعة من المقاطعات ، وأطلق عليه لقب امير لواء ، خلفاً لإحدى الشخصيات الهاشمية التي كان سبق وأن سيرها الى هذه المنطقة

او تلك ، على رأس مجموعة من القبائل في بدء العهـد المتوكلي .

وما أن بدأ الامام يحيى ينفذ خطته هذه ... وكان يؤيده فيهـا « العمري » ومن لف لفـه ، من منافسي كبار الأسر الهاشمية .. حتى بدأ الإحساس بالضيق والحنق ، يتسرب الى نفوس كبار الهاشميين الذين أدركوا أن هناك تآمراً على الحيلولة بينهم وبين إعداد أنفسهم لممارسة الحق الآلهي ، في أن تؤول الامامة اليهم ، من بعـد الامام يحيى ، اذ أنه بتسليمـه أبناءه مقاليد الأمور في ألوية اليمن المختلفة ، يعدهم بالتالي لخلافته من بعده . ومن هنـا بدأ التشكيك في نزاهـة الامام ، وعدالته ، يسري على ألسنة بعض كبار المسئولين من الهاشميين ، مما جذب اليهم بعضاً من الشباب الذي ولد على مطلـع عهد الاستقلال ، وتمكن من الاتصال بعض الشيء بأفكار وثقافة العصر الحديث ، لمنطلقة من عقال النظرية التقليدية للحكم والحياة .

•

وفي جو العبودية الكهنوتيـة التي كان يعيشها الشباب المحكومون بأفكار وثقافة الشيعة المغالية ، وفي مواجهة سياسة الشح القاسي ، التي اختطها الامام يحيى ، وجد هؤلاء الشباب متنفساً لمشاعرهم ، ومطامحهم ، فيما يلقونه من سخط عند اولئك المتصدرين لمنافسة ابناء الامام في السلطة ، فاذا بهم يتجرؤون على تداول الاحاديث الناقدة ، والساخطة ... ويوماً بعـد

يوم ، وبفعل التراكم النفسي لعوامل السخط التي ولدتها قسوة الحيـاة وضيق مجالات البروز في المجتمع ، والسعـة في العيش للعديد من الشبـاب الذي استنـار بعض الشيء .. وبسبب المضايقات الشديدة التي جاء بها عهد الامام المتزمت ، بالنسبـة للمتع الحسية التي كان الكثيرون قد اعتادوا عليها في ظل الحكم التركي ، وانفعالاً بالخليط من التناقضات المتعددة ، داخل محيط صنعاء ، نشأت جماعة من الشباب الناقم المتحفز لتغيير الاحوال ، وبلغ الامر ذروته في صنعاء ، واشتدت حدته ، عندمـا أعلن تعيين سيف الاسلام أحمد أميراً للواء تعز ، بدلاً من السيد علي الوزير ، الذي حكم تعز عشرين عاماً ، منذ مطلـع عهد الامام يحيى عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٣٨ ( ١٣٣٧ — ١٣٥٧ ) . وقد نشطت العناصر الهاشمية في صنعاء نشاطاً كبيراً في ذلك ضـد السيف أحمد ، واستثارت حفيظة بعض إخوته عليه مثل سيف الاسلام الحسين الذي تملق المنافسون لأسرته مطامحه وإعجابه بنفسه ، فعقـد اجتماع بينه وبين عبد الله الوزير وعلي بن حمود شرف الدين في إحدى مدن تهامـة ، لوضع خطة للحيلولة دون ولاية عهد السيف أحمـد ، وخلافته لأبيـه في الحكم . وكان كل واحد من المجتمعين يعد نفسه ليكون إماماً من بعد الامام يحيى .. !

وكان في صنعاء شباب هاشمي لا يجد لنفسه مجالاً في منافسة الكبار آنذاك ، ولا اتساع له في ميدان المنافسـة من اجل

الامامة مستقبلا ، كما أنه في الوقت نفسه لا يحس بمشاعر الاخاء الحقيقي والمودة الصادقة من أقرانه غير الهاشميين ، وكان هناك شباب غير هاشمي يحس في أعماقه بألم التفريق بين مواطن وآخر بسبب السلالة التي يتحدر منها ، ويشتد الاحساس بهذا التفريق، كلما كان الشاب على قدر من الذكاء وسعة الاطلاع ، وهو يجد نفسه مجبوراً لأن يقبل يد وركبة أي هاشمي ، حتى ولو كان تجسيداً للغباء والتفاهة والبلادة او شريراً او متحللا .

وكانت المكتبة في اليمن معتمدة على المخطوطات القديمة ، واذا وجد مطبوع ما ، فغالباً ما يكون من الكتب الصفراء التي تقدم المخطوطات القديمة بتنسيق في الاخراج أفضل ليس غير ، أما المحتوى فانه لا يختلف عن المخطوطات في الفقه ، وعلوم اللغة . وعن سبيل الحج أولاً ، تسربت الى « صنعاء » كتب غير صفراء ، من دواوين شعر ، او كتب تاريخ ، او أبحاث اجتماعية ، فما أن وقعت في أيدي أولئك الشباب ، الذين يعانون من قسوة الاعتبارات الاجتماعية المتباينة ، وضغط المعيشة المنخفضة المقترة ، وسقم المناهج التعليمية التقليدية في الجوامع ، وتزمت المجتمع في تقييمه لقواعد السلوك المهذب .. حتى كانت منفذاً لهذا السخط المختلط في نفوسهم ، إذ جعلوا التجديد الأدبي هو ميدان المعركة الذي يتجمعون فيه أولاً ، وكأنهم لا يعدون أن يكونوا متطلعين للاجادة والتفوق على من عداهم من الادباء في الشعر والخطابة ، والكتابة في التاريخ

أساساً على منهج جديد ، ومن تجمع هؤلاء الشباب تحت وطأة مشاعر الضيق تلك تكون في صنعاء ، ما كان القدامى يطلقون عليهم « البزغة » وهي تعني الطليعة ، إلا أنها اكثر ميلا للتهزئة والاستصغار ، لأنها إشارة الى بداية طلوع الشجيرات الصغيرة الناعمة من بطن الارض ، وكان المراد باختيار هذا التعبير هو المقارنة بين هؤلاء ، وبين الاشجار الضخمة الراسية في قلب المجتمع .

ولما بدأ هؤلاء الشباب ، يقارنون بين اوضاع بلادهم ، واوضاع البلدان الاخرى ، في هذا العصر ، وبدأوا يركزون في أحاديثهم ، او ما ينتجون من أدب على التجاوب مع روح العصر ، والاخذ بالاساليب الحديثة ، أضيف الى الصفة الاولى صفة اخرى ، هي « العصرية » وسموا بالعصريين ، ولم يكن هذا الاسم ، ليحمل الروح المشجعة ، او المعجبة ، قدر ما كان يشير ايضاً الى استهجان لهذا التفكير ، الذي يريد ان يبتعد عن روح الماضي المجيد ، الماضي المقدس ، المنزه الـ .. الـ ... فقد كانت الأعصر الماضية ، في تقدير القوى الاجتماعية ، والفكرية التقليدية ، هي أعصر الطهر والسلامة .

# مكتب الأيتام والمدرسة العلمية

بسبب الازدواج في عقلية الدولة بعد استيلاء الامام يحيى على السلطة ، حيث تضاربت المدرستان التركية والامامية في الادارة ؛ وجد الامام يحيى الحاجة قائمة لتخريج موظفين إداريين على اساس من القواعد التي خلفها الأتراك ، بينما كان حريصاً في الوقت نفسه على إشاعة الثقافة الشيعية ليدعم حكمه الجديد المرتكز على العقلية القديمة في الحياة وعلاقات البشر ببعضهم وبالوجود .

فلما بدأ الأمر يستقر للامام يحيى بعد انقضاء نحو سبعة أعوام على دخوله صنعاء أنشأ مدرسة ابتدائية داخلية باسم « مكتب الأيتام » ، كما أنشأ مدرسة اخرى داخلية أسماها المدرسة العلمية .

ولم يكن التفريق بين المدرستين مقصوراً على التسمية ، وإنما كان الفارق أبعد مدى وأعمق ، فقد كانت المدرستان تختلفان اساساً في المعايير التي تطبقها على الطلاب الذين تقبلهم او ترفضهم ... فاقتصرت المدرسة العلمية على قبول من يسمون في اليمن ( أبناء

الناس) ، والمقصود بهم من كان لذويهم مركز اجتماعي محترم وغالباً ما يكونون من المشتغلين بالقضاء او من الهاشميين الذين لايمارسون حرفة يدوية ، وذلك ليعد هؤلاء الابنـــاء ، قضاة وعمالا للامام في انحاء البلاد ، بينما فتحت ابواب مكتب الايتام لتقبل الايتام اساساً ، او الذين لا اعتبار لأهليهم في المجالات الاجتماعية ولا قدرة لديهم على ايواء ابنائهم في منازلهم والانفاق عليهم .. والاعتبار الاجتماعي الذي أشير اليه هنـا لايعنى ان اؤلئك الآباء من اشرار الناس ، ولكن مما يضطهدهم المجتمع في نظرته اليهم واعتباره لهم ، بسبب انهم لايمارسون سلطاناً في الارض ، ولا يملكون مايتباهون به ؛ فهم بين خياط ، أو بائع فحم أو حطب ، أو صاحب حرفة يدوية محدود الدخـــل ، كالنجارة، والحدادة ، ونحوها ، دع عنك ابن الحلاق، أو الجزار، فهؤلاء يعتبرون من مواطنين من الدرجة العاشرة ، وقد استحدث في اليمن تعبير مواجـــه لتعبير ( أبناء الناس ) ، وهو ( أبناء السوق ) و ( أولاد الشوارع ) .

وفي جو هذين الاعتبارين المختلفين لطالب مكتب الأيتام وطالب المدرسة العلمية نشأ صراع آخر ، ظل يعبر عن نفسه بشتى الصور والأساليب في الدوائر التي عمل فيها الخريجون من المجالين، فقد أصبح خريجو المدرسة العلمية هم رجال الدولة يوماً بعد يوم، المثقفون الثقافة الشيعية ومنطقها الذي هو منطق الدولة وثقافتها السياسية، بينما انحصر خريجو مكتب الأيتام في الوظائف الادارية

الصغيرة أي الكتابية سواء في الدوائر المدنية أو العسكرية . فمن طلبة مكتب الأيتام موظفو التلغراف واللاسلكي ، ومنهم الكتبة في الدوائر المـــالية ، ومنهم كثير من مدرسي القرى وبعض المدن ، ومنهم الكتبة في الجيش ، وكثير من الضباط .

وكانت تميز طلبة المدرسة العلمية عن طلبة مكتب الأيتام ، الملابس التي يلبسها كل فريق ، فالعمامة والقميص ذو الأكمام الواسعة الطويلة ، والجبة ، والخنجر ، والشال ، والسبحة الملفوفة على رأس الخنجر ، كل ذلك من مكملات الدراسة العلمية .. ولا يصح لطالب أن يلتحق بالمدرسة العلمية الا وهو لابس هذا الزي ، بينما يأتي طالب مكتب الأيتام بالملابس العادية ، طاقية على رأسه وجاكته إن وجدها ، أو اكتفى بالقميص الطويل ( الجلابية ) رابطاً وسطه بخيط أو حزام من الجلد . وحين يتخرج من المكتب سواء الى العمل او الى المدرسة المتوسطة ، او الثانوية ، فانه لايتغير من لباسه شيء غير اللفة الشعبية التي يلفها على رأسه ، وهي ماتسمى « بالصمادة » ويلبسها عامة ابناء الشعب ، لا المسؤلون .

وقد كان لهذا المظهر أثره في تعامل الناس مع صاحبه ، فالعمامة أدعى للاحترام من الصمادة ، والقميص ذو الأكمام الواسعة الطويلة أولى بذلك من الجلابية ، ويوماً بعد يوم ، وحادثاً اثر حادث ، ترسب في نفوس الكثيرين حقد أعمى على ( أصحاب العمائم ) مما اودى بحياة البعض منهم ، دون ان يكون هناك مايبرر ذلك غير

انتمائهم للفريق الذي دلله العهد القديم او انتمى اليه .. وما يزال الفعل قائماً وردوده متلاحقة ، فعل الثأر ورد الاعتبار لطلاب الايتام من طلاب العلمية ، والانتقام المنفعل الذي يغلف نفسه بشتى الوسائل والأساليب ، والشعارات المختلفة ، وذاك هو ما يفسر لنا الجو الملغم الذي يسيطر على علاقات العلماء بالضباط ، ونظرتهم لبعضهم بعضاً ، وهو أمر له أهميته في صنعاء ، وأثره البالغ في مدينة اليمن الاولى التي تفيض تأثيرات على مجرى الأحداث السياسية في أنحاء البلاد عموماً .

★

# المحاولات

# القفز على الحواجز

لقد كانت تلك هي أبرز المتناقضات في باطن الحياة اليمنية خلال العهد المتوكلي ( ١٩١٨ – ١٩٦٢ ) . وكان الاحساس بها متفاوتاً بحسب علاقة كل فئة او فريق او منطقة بالوضع .

ومع صعوبة الاتصال بين أنحاء البلاد ، وانعـــدام وسائل النشر العامة لم يكن جلياً لكل فريق ماذا يعانيه الآخرون .

وكل فتى يبكي لبلواه غابطاً    فتى مثله ، باكي الفؤاد حزينه

وفي ظل هذا الحال اختلف تقييم المشكلة واختلف بالتالي التفكير في طريقة حلها ، فمن في صنعاء من الشبـــاب تختلف نظرتهم فيما بينهم ، بحسب انتماء كل واحد لقطاع من القطاعات المتناقضة داخل صنعاء ، وكل الذين في صنعاء يرون الحل غير ما يراه من في تعز ، فلمـــا نشأت حركة الاحرار قامت وهي تزخر بالخلافات الفكرية تبعاً للمكونات الاجتماعية للعاملـين داخل الحركة ، غير أن جلال المحاولة الاولى ، ورهبـة الحكم القاسي قد فرض على الجميع التسامح فيما بينهم ، وتقبل بعضهم

رمضاً ، والالتفاف حول الطليعة التي أعلنت المعارضة خارج حدود الامام بقيادة الزبيري ونعمان .

ولا شك أن تمكن نعمان والزبيري من اللجوء الى الخارج وقدرتهم على الاستمرار ، قد أتاح لهما فرصة احتلال مركز القيادة الشعبية ، حتى ولو لم يقتنع بذلك العديد من أقرانهما داخل اليمن نفسها ، وإن كان هذا الاقتناع بدأ يتسرب لنفوس الكثير منهم بعد ان صمد نعمان والزبيري لاغراءات وتهديدات الامام احمد ، التي كان آخرها قدومه الى عدن عام ١٩٤٦ ومحاولته الملحة في مقابلتهما دون ان يتمكن من ذلك ، مما حمله على الذهاب بنفسه الى المنزل الذي كانا يسكنان فيه دون موعد ، فاعتذر له بأنهما غير موجودين فيه .

لقد كان هذا الحادث إيذانا بدخول الحركة الشعبية في طريق جديد ، فما ان وصل النبأ الى صنعاء ، حتى أحس بعض الامراء من ابناء الامام يحيى بأن عهد الاسرة قد ولى ، وكان اشدهم احساس بالتحول التاريخي الشهيد سيف الحق ابراهيم ، الذي حاول ان يقنع إخوانه بالقاء القبض على الامام يحيى واحتجازه في القصر ، وإعلان جنونه ، ليختار الشعب له إماما آخر ، دون ان تتعرض الاسرة لخطر يحل بها ، واستهوت الفكرة الامراء الشباب أول الامر ولكنهم عادوا فتراجعوا عنها ، مما حدا بالامير سيف الحق أن يغادر البلاد تحت دعوى الاستشفاء في اسمرا ، ومنها توجه إلى عدن حيث أعلن انضمامه لحركة الأحرار .

وبخروج سيف الحق من صنعاء ، وإذاعة انضمامه لحركة الأحرار في الصحافة العربية والإذاعات، ثم إعلانه قائداً للحركة وزعيماً أعلى للأحرار ، حدث رد فعل قوي في أوساط صنعاء ، دفع بالحركة إلى سبيل جديد لم يكن قد اتضح منذ البداية ، فقد كان الأحرار محصورين في مجال دعائي مداره الشكوى من سوء الحال استثارة للشاعر في داخل اليمن وخارجها ضد الحكم القائم ، للضغط عليه أدبياً كي يعدل من اساليبه التي ينهجها في الحكم ضد المواطنين ، والمتمثلة أساساً في ابتزاز نتاج أعمالهم في الارض تحت اسم الزكوة ، وكان مرد هذا الانحصار في مجال العمل السياسي راجعاً لتقدير قيادة الحركة لحقيقة مركزها وثقلها بين مختلف الفئات والانماط الاجتماعية الموجودة داخل البلاد ، فليس على رأس الحركة شخص يمكن له — من خلال إقرار أسس الحكم الأمامي — أن يرشح نفسه لرئاسة الدولة ، وبالتالي تتخذ الحركة ، صفة المعارضة الشاملة الهادفة لإسقاط الحكم القائم وإحلاله بغيره ، كما أن الإلفاظ لتغيير أسس النظام أي تحويل الدولة من ملكية إلى جمهورية ، كان مستبعداً حينها نظراً للظروف الداخلية والخارجية ، كما ان الشكل في حد ذاته لم يكن هدفاً جوهرياً في تقدير قيادة الحركة ، بقدر ما كان وقف السوء النازل بالشعب هو الهدف الأكبر ، وقد كانت القاعدة الأصولية ( درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ) هي دليل العمل السياسي يومها عند قيادة الأحرار .

ذاك كان حال حركة الاحرار قبل انضمام سيف الحق إبراهيم فلما انضم إلى الحركة وتبع ذلك نشاط دعائي كبير في البلاد العربية ، واهتمام واسع بقضية اليمن في كثير من عواصم العالم ، تنبه في صنعاء المتطلعون لمنافسة بيت حميد الدين من الاسر الهاشمية ممن كانوا مستروحين في قرارات أنفسهم لحركة الاحرار دون أن يتقدموا بعون لها او تأييد سري او علني ، إذ كانوا يجدون فيها ، إضعافاً لمعنوية الإمام يحيى وأولاده أمامهم ، وتمهيداً غير مباشر لوصولهم إلى العرش بعد الإمام يحيى ، لا سيما وقد اشتدت حملات الاحرار على السيف أحمد الذي كان ولياً للعهد في عهد الامام يحيى ، ولقد كان هؤلاء يكتفون (بالتفضل) على الاحرار بقراءة مطبوعاتهم ومنشوراتهم دون ان يكونوا بدأ في الوقيعة بمن يوصل لهم تلك المطبوعات.!

غير ان موقف هؤلاء تغير بعد انضمام سيف الحق إبراهيم إلى حركة الاحرار ، وخشوا أن يكون هذا حائلاً بينهم وبين تحقيق مطامعهم وتطلعهم إلى السلطة بعد الامام يحيى ، لأن سيف الحق يمكن له ان يرشح نفسه إماماً بسبب نسبه الهاشمي ، مدعوماً بموقفه المناوىء لسياسة ابيه واخوته ، وبذلك تنتقل السلطة من بيت حميد الدين لبيت حميد الدين .

وتحت هذا الدافع تجمعت الشخصيات الهاشمية الكبيرة الموجودة بصنعاء ، وارتبطت بحركة الأحرار على اساس إبعاد بيت حميد الدين من السلطة ، واقتسامها بين الاسر الهاشمية

الأخرى التي تنافس جدودها على الإمامه مع أسلاف بيت حميد الدين ... وكانت محاولة ١٩٤٨ التي أطاحت بالأمام يحيى ، ولم تقو على الصمود في وجه ابنه أحمد بسبب التناقضات العتية التي كان يحفل بهـــا هذا اللقاء بين الاحرار وهم الطليعة من الشباب المستنير ، وبين الأسر الطامعة التي كانت متناحرة فيما بينهـــا أساساً ، حتى داخل الأسرة الواحدة ذاتها ، كما أن الأحرار أنفسهم لم يكونوا في درجة من القوة الذاتية التي تمكنهم من تسيير الأمور وتوجيه الأحداث على هواهم واكثر من ذلك كان الاحرار انفسهم مرتبكين ومبهورين من تقبل هذه الاسر التعامل معهم، مما لم يتح لهم سبيل التمعن في دلالات هذا اللقاء الخطير ، والاحتياط له ، فاسلموا انفسهم وتسابق معظمهم بلا بصيرة ولا روية ، قانعاً من العملية كلها بالخلاص من اسرة حميد الدين كأن ذلك هو كل ما يصنع للشعب ما يبتغي في الحياة . حتى لقد كان اي داعية للتريث والتبصر في هذا التعامل يعتبر خارجاً على الحركة او متآمراً ..

وكان كل ذلك طبيعياً في اول تجربة يقدم عليها الاحرار .. ولم يفيقوا إلا وهم في سجون الامام احمد وقد تساقطت رؤوس زملاء اعزاء عليهم ، وعادت الاسرة اشد مـــا تكون تحكماً وسيطرة بعد ان خلا لها الجو بالتخلص من كل المنافسين .

●

تلك هي المحاولة التغييرية الاولى عام ١٩٤٨ ، وقد كان طابعها تجاهل كل التناقضات ، والتركيز على هدف واحد هو القضاء على حكم بيت حميد الدين ، إضعافاً للقداسة المتسلطة وإخلالها بغيرها على اساس الالتزام بنظام دستوري على غرار النظم الدستورية السائدة في البلاد العربية آنذاك .

واياً كان مقدار الصواب والخطأ في هذا التعامل ، إلا ان الطابع الشامل له قد كان المداراة ، والتجاوز ، على طريقة القفز فوق الحواجز ، وليس إزالتها .

ودون استطراد لتفاصيل الحوادث ، وكيف اطلت التناقضات بوجهها بارز القسمات ، واضح الملامح ، من خلال التعامل داخل صنعاء بين ممثلي الفئات المختلفة ، والشخصيات المتناحرة على السلطة داخل الأسر المنافسة لأسرة حميد الدين .. دون ان نلج في هذا الخضم العجيب والمفزع من الأحداث والمفاجآت ، فان التجربة قد انتهت بعد ستة وعشرين يوماً ، إذ استطاع الإمام احمد ان يثير التناقض الراسخ المكين بين «صنعاء» ومناطق القبائل ، وأطلق الأحقاد التاريخية من عقالها فقد أباح للقبائل ان ينهبوا كل ما في صنعاء مما تعتبره القبائل في الاصل ملكاً اساسياً لها لان نتاج ارضها قد صب في صنعاء، إما في شكل بضائع لا يؤمن القبيلي ان الصنعاني قد دفع ثمنها الوافي، وإما في شكل نقود تحايل موظفو صنعاء على ابتزازها من القبيلي بمختلف الوسائل إما في المحكمة او الادارة المالية كرشوة .

وسقطت صنعاء في ايدي القبائل الذين قادهم سيوف الاسلام ابناء الإمام يحيى وأخوة الإمام احمد الذين اعتملت نفوسهم بالحقد المرير ضد قتلة ابيهم وأخويهم ، فلم يكن هناك بد من العنف الشديد مع كل الخصوم والمنافسين ، وهكذا سيق كل الأحرار وأبناء الأسر المنافسة لبيت حميد الدين، سيق هؤلاء الى «حجه» معقل الإمام احمد الذي أدار منه عملياته العسكرية ضد الحكومة الدستورية ، وهناك أعمل الامام احمد فيهم سيفه ، وأوثق من بقي منهم في الأغلال بضع سنين .

★

# المكيدة

وفي السجن .. وبعد أن توقفت عمليات الاعدام وانتقل من بقي من الأحرار في السجن من مرحلة انتظار الموت ، الى مرحلة التطلع لممارسة الحياة خارج اسوار السجن ، بدأ التفكير عندهم يتجه للبحث عن وسيلة لفتح الحديث مع الإمام .

وينفتح باب الحديث من قبل الإمام نفسه ، إذ أبرق للاستاذ أحمد محمد نعمان الى السجن يسأله عن مذكراته عن الحوادث اثناء الانقلاب ، فقد بلغه ان الاستاذ نعمان كان يسجل ذلك يوماً بيوم ، وقد طلب منه الإمام أن يبعث ذلك اليه ليضيفه على ما لديه من بيانات ستكون مع ما سجله نعمان من أجدى الخدمات التاريخية كما قال الإمام في برقيته .

ولم تكن البرقية قاسية ولا جافة ، ولم تأت على صيغة الأمر بل كانت طلباً لطيفاً هادئاً ، مكن لنعمان أن يشكو أثقال الحديد التي أقعدته على الأرض ثلاثة اشهر ، لم يكن يستطيع معها حراكاً ، وان يطلب الإفراج عن قلمه الذي كان محتجزاً حسب قواعد السجن ، لأن القلم ، والورق ، والكتاب ، محظور دخولها الى السجن .

ووعد نعمان ألإمام ، بأن يستعيد من الذاكرة ما يستطيع استعادته ، بعد ان يسترد انفاسه اللاهثة ، من الخوف المحيط به وبإخوانه الذين يعيش معهم في السجون ، وبدأ الأخذ والرد بين نعمان والإمام ، اعاد فيها الإمام ذكريات الصداقة القديمة بينهما ، وذكّر نعمان بمواقفه الخطابية التي عبر فيها عن مشاعره نحو الإمام ، ايام كان ولياً للعهد ، وختم احدى رسائله بقوله : ألا يزال ذلك على الذهن ، او ما بقي إلا ما سود الصحيفة ، اما نحن فكلما ذكرنا ذلك قلنا :

والله يعفو عمن قد أتى زللا
وهل ترى في البرايا غير مغتفر

وحين جاءت هذه الرسالة ، اتسع مجال القول امام نعمان ، وخرج بحديثه الكتابي مع الإمام ، عن موضوع المذكرات الى موضوع ما بعد المذكرات وهو العفو العام عن المساجين الذين يستطيع الإمام ( أن يجعلهم جنود ابنه البدر الذي يجب ان يكون ولياً للعهد ) .

ومع ان الإمام يومها ، لم يعلق بشيء على موضوع ولاية عهد البدر ولم يقدم على تقبل رأي نعمان في اعلان العفو العام ، فان الفكرة قد عملت في نفسه عملها ، وظلت تختمر في فكره زمناً.

وللتاريخ كان اخوة الإمام ، وفي المقدمة عبدالله والعباس

والحسن ، من أشد عوامل التعويق ، والمعارضة في استخدام، اللين مع من بقي من الأحرار .. وكان هذا أمراً واضحاً لدى الأحرار . كما كان من عوامل الإلحاح على فكرة ولاية عهد البدر تحقيقاً للأغراض التالية :

اولاً : الظهور امام الإمام بمظهر الحرص على استقرار الأمر في الأسرة نفسها ، ولكن على شرط ان تكون في أوثق الأمراء صلة به ، وليس هناك من هو أقرب إليه من ابنه، الذي لا يمكن ان يخشى منه تآمراً عليه ، يتعجل به استلام السلطـــة كما هو المنتظر من أي اخ من أخوته .

ثانياً : استبعاد الامراء أبناء الإمام يحيى ذوي العلاقــات السيئة مع الاحرار ، من قبل حركة سنة ١٩٤٨ ، لتعرضهـــم لحملات دعائية مضادة في صحف الأحرار ومنشوراتهم ، ثم لما لقيه هؤلاء الأمراء من سجن ، او تشريد بعد قيام الحركة .

ثالثا : وكان هناك عامل خارجي له اثره في المفاضلة بين البدر واعمامه ، وذاك هو موقف كل واحد من هؤلاء من مصر بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . ولقد كان رأي الامراء الاعمام، فيها سيئا الى ابعد الحدود ، مبنيا على الخوف الشديد، وكانوا لا يفتأون يرددون في مجالسهم هم ومن يتصل بهم كل ما يمكن ان يسيء الى سمعة مصر ، وينفر منها الناس ، بينما كان البدر على العكس منهم ، فكان هذا عاملا من عوامل توثيق صلتـه

بالاحرار ، وتفضيلهم له على سواه ، اقتناعا منهم ، بأن من يستروح ما يجري في مصر ، لا بد وأن يكون عازما على تغيير اوضاع البلاد ، وكان هناك قدر من السذاجة في هذا المعيار لم يكتشف الا بعد مدة طويلة .

ويوماً بعد يوم ومع التكرار ، وجدت الفكرة قدراً من الاستروح الداخلي عند الإمام ، أفضى به للتخفيف عن المعتقلين وبعد أن اصبح نعمان نصف سجين إذ أخرجه الإمام من السجن وألزمه البقاء في « حجه » ، جاء الإفراج عن القاضي عبدالرحمن الإرياني لتنطلق الدعوة إلى الشارع ، فقد اقتصر العمل بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٤ على مجرد الحديث عن ولاية العهد بشكل هادىء وفي الرسائل إلى الإمام أو البدر دون جدية في الفكرة كاملة .

ولكن من خلال ذلك تجددت في السجن صور من الماضي القريب ، فقد ثارت المنافسات بين باقي الاسر الطامحة ، من الموجودين داخل السجن ، وأعني بهم ابناء الوزير ، وابناء عبدالقادر ، المنحدرين من سلالة الامام شرف الدين .

لقد رأى هؤلاء ان تفكير الاحرار بالدعوة لولاية عهد البدر ، إنكار لأحقيتهم في قيادة الدولة من جديد ، مع انهم يرون في انفسهم توفر الخصائص اللازمة للامامة جميعا ، وإضافة لكل ذلك فقد سقط آباؤهم صرعى في المعركة التي

تحالفوا فيها مع الاحرار ضد بيت حميد الدين .

ومع ان هؤلاء كانوا متنافسين فيما بينهم ، إلا ان موقف الاحرار من البدر قد كتلهم ضد البدر وضد الاحرار ، وانطلقت مؤامراتهم في السر والعلن ، ضد العملية واصحابها ، من نقطة واحدة هي استثارة العنصرية الهاشمية عند الامام احمد نفسه ، واذا ببعض المساجين من ابناء الوزير ، يبعث مذكرة واسعة للامام احمد ، يبكي فيها على مصير ابناء فاطمة بنت محمد بسبب مؤامرات القحطانيين ، واعداء الهاشمية ..

وفي الطرف الاخر كان ابناء عبد القادر يجندون انفسهم تحت لواء سيوف الاسلام الكبار إخوة الامام احمد ، فقد ادرك هؤلاء ان من العسير عليهم ان يرشحوا انفسهم للخلافة في وجه احد من بيت حميد الدين ، ولكنهم لم يرتضوا ان يؤيدوا فكرة الاحرار ، لا لشيء إلا لانهم يجدون في الامراء الكبار تقاربا روحيا معهم بسبب تعصب اولئك للهاشمية .

وبسبب اتضاح الأمور على هذا النحو داخـــل السجن وخارجه فجرت القنبلة يوم ان خرج القاضي عبدالرحمن الارياني من حجة الى الحديدة بطريقه الى تعز ، فقد اعلنت البيعة للبدر بعد وصول الارياني للحديدة وحملها معه الى تعز داعياً لها ، كما قام نعمان بنفس العمل في حجة .

وثار الامراء وسبّوا ولعنوا ، وبعثوا وسائـــل التهديد للكثيرين ، واحس الامام بخطورة الموقف ، فنبـــه الكثير من نوابه لعدم الخوض في هذا الامر ، كما اجاب في إحدى المراته عن نعمان بقوله :

إني على ما ترين من كبري    اعرف من اين تؤكل الكتف

وهو يشير بذلك الى انه يعرف انها مؤامرة

ولما لم يكن للأحرار جهاز سياسي منظم ، فقد وجد فريق من الشباب المستنير والضباط، لم يع جيداً أبعاد العملية، وذهب يفاضل بين مزايا البدر والسيف عبدالله مثلاً من الناحية الادارية وكأن البحث كان قائماً عمن يدعم العرش وليس عمن يهدم العرش. وكانت نتيجة المفاضلة عند هؤلاء لصالح السيف عبد الله ضـــد البدر ، فارتبطوا به باخلاص حقيقي ، ولا ســـيما وقد ابدى استعداده للخلاص من الامام احمد ، وذلك ما لم يكن متطلباً من البدر لانه اعجز نفسياً عن ان يؤدي دوراً كهذا . والتقى هؤلاء عملياً مع بقايا الاسر المنافسة لآل حميد الدين ، والمتعصبين للسلالة الهاشمية وحقها في احتكار الحكم ، فكان انقلاب سيف الاسلام عبدالله عام ١٩٥٥ ، الذي شاء له سوء التدبير ان يقترن بعدوان العساكر على قرى الفلاحين باحراقهم لها ، وتقتيـــل الفلاحين بسبب رفضهم اباحة نهب العساكر لأعواد الحطب من قرام ، فبعد ان اكمل العساكر فعلتهم في « الحوبان » باحراق

القرية ، عادوا الى تعز ليقوموا بمحاصرة قصر الامام احمد والتقدم اليه بطلب التنازل عن العرش لاخيه عبدالله ، وكان هذه هي غاية الغايات .. ان يتولى الحكم امير قدير على تصريف شؤون الدولة اكثر من اخيه المريض منذ مدة ، او ابن اخيه الذي لا يطمأن لقدرته على خلافة ابيه .

ولم يكن حظ هذه المحاولة افضل من سابقتها فقد باءت بالفشل العاجل بعد خمسة ايام من قيامها .

ولقد كان موعد قيامها والظروف الملابسة له والمتسمة بالتعجل والخوف من الوقوع في قبضة الامام احمد بعد احراق « الحوبان » .. هذه السمة هي طابع المحاولة نفسها ، والتكوين النفسي للمدبرين جميعاً ، فكانت المحاولة في اساسها رد فعل على الدعوة لولاية عهد البدر ، وكانت عملية قطع طريق على البدر الى العرش ، وعلى دعاة ولاية العهد من التسلط بدلا من الطقم المفضل للامراء الكبار من ابناء الاسر الطامحة متوارثة الاحساس بالحق الالهي في انحصار السلطة بينهم .

وعلى الرغم من فشل المحاولة ، الا ان الاسرة المالكة قد خرجت منها ضعيفة ، متناحرة ، ممزقة ، إذ اعدم الإمام اثنين من إخوته هما عبدالله والعباس ، كما ابعد الحسن ، واسماعيل لفترة طويلة دامت مع الحسن الى ان انتهى الإمام من الحياة .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل تعداه للآثار الطبيعية التي لا بد وأن يخلفها داخل الأسرة من حقد وتربص كل جماعة بالأخرى ، وانقسامها على نفسها بشكل واضح وصريح : « بدريين » و « حسنيين » نسبة الى البدر والحسن الذي تركزت فيه المنافسة للبدر بعد مصرع عبدالله والعباس .

★

## الانفجـــار

ما ان وصلت الامور الى هذا الحد ، حتى واجه الاحرار الحقيقة سافرة ، حقيقة سلبية هذه الوسيلة مع استمرار وجود الامام احمد حاكما للبلاد .. فقد كانت افكارهم حول البدر وجدوى استخدامه في مواجهة اعمامه مبنية على غياب الامام احمد من المسرح ، اي بعد الخلاص منه بطريقة طبيعية او مدبرة ، ولكن الامور سارت اسرع مما كان يقدر لها ، واذا بالمنافسين يقضى عليهم والامام حي يرزق ، فتبدلت موازين الامور من كل جانب ، فلا الامام بحاجة لمن يدعم ابنه في وجوه منافسيه لان هؤلاء لا وجود لهم ، ولا البدر محتاج لمن يقنع اباه باعلانه ولياً للعهد لان ذلك قد تم بالفعل ، ولم يبق غيره في المسرح .

وعاودت الامام احمد افكاره القديمة حول موضوع ولاية العهد ، وانها مؤامرة ضد الاسرة وإذا به يقول لنعمان في احدى الجلسات :

« هل تريدني ان اتكلم بصراحة ..؟ والله انك انت

**والارياني رأس هذه الفتنة ، وإلا فأنا كنت اقول لكم ! مش وقت ولاية العهد ومارضيتوش ! »**

وبالرغم من أنه افرج عن القاضي عبد الرحمن الإرياني بعد هذا الحديث فقد كان الارياني معتقلاً بعد فشل حركة سيف الاسلام عبدالله وحدث ان اخرج لساحة الاعدام مرتين غير ان مشاعر الوحشة كانت قد بدأت تتسرب الى الإمام من جديد ، وكان هناك كثير ممن حسدوا نعمان والأرياني ، وزملاءهمـا على عودتهم للمسرح السياسي ، وعلى قدر من الاحترام والتقدير عند الإمام وولي عهده، فلم يترك الخصوم سبيلاً إلا وسلكوه للحيلولة دون تمكن الأحرار من السلطة ، والعمل على ابقائها بأيدي اولئك الذين كانوا من قبل غير متحمسين للبدر، بل ومن أعوان أعمامه ، وهؤلاء يكادون يكونون ابناء الأسر الكبيرة في صنعاء من هاشميين وقحطانيين ممن كانوا يرون في تقبل الأفكار الحديثة في الحكم باباً لرياح الشر التي ستطيح بامتيـازاتهم الموروثة . وأذكر ان القاضي محمد عبدالله العمري قال في معرض الحديث عن ضرورة وجود شخص قوي على رأس الدولة من بعد الإمام احمد : « وإلا فستحكمنا القبائل » ، وكان يريد من حديثه يومها بعد انقلاب سيف الاسلام عبدالله ان يضعف مركز البدر ويمهد للحديث عن امكانية التعامل مع الحسن .

●

ومع ان الإمام ابدى استعداداً بادىء الأمر للتخلي عن اساليب الحكم القديمة التي تعتبر الفلاّح مجال عملها الخالد لأن هذا هو المورد الوحيد للدولة ، وقال بعد مناقشة اختلط فيها الجد بالدعابة بينه وبين نعمان : « هيا هوذا انتو عا تسيروا مصر والسعّودية مع الولد البدر واتفقوا على كل شيء » .

فقد اثار نعمان الحديث القديم عن « الرعوي المسكين » ، بعد ان قال الامام احمد : « والله ما اريد ان اقضي بقية حياتي الا في خدمة المساكين هؤلاء الذين نصرني الله بهم » وكان يشير بذلك للفلاحين الذين احرق العساكر قراهم ، ثم رد على نعمان مداعباً عندما تحدث عن المظالم التي تنزل بالفلاحين : « هيا .. مه ؟ احترك العرق ؟ » أي هل ثارت العصبية للفلاحين .. فلما اجابه نعمان بانه ليس ذلك ما حركه، ولكنها الحقيقة فالضرائب كلها للدولة من الفلاح، بينما بقية الدول لا تعتبر الضريبة الزراعية الاساس في تمويل الدولة. فقال الامام: وماذا تريد ان نصنع هل نأتي بالنصارى ؟ اجابه : لا ، ليس هذا المقصود ولكن وقد لطف الله بنا مما حل باخواننا العرب الذين نكبوا بالاستعمار الاجنبي ولسنا الآن في حاجة اليه ، هناك خبراء عرب يستطيعون ان يقدموا لنا الخبرة التي نحتاجها ، وهناك من يستطيع ان يقدم لنا المال عوناً او قرضاً من اخواننا العرب ، والدولتان اللتان وقفتا الى جانب جلالتك في هذه المحنة هما خير عون ونصير . الخبراء من مصر والمال من السعودية » فأجابه الامام بالموافقة

على الرأي كما سبقت الاشارة لذلك ، غير ان هذا الاستعداد العجيب الذي ابداه لم يكن له ما يحميه ، بل كان الامام على العكس يبحث مع ابنه البدر سبل فك اي ارتباط قائم مع مصر اولا ، مع الاستمرار في مخادعة طلائع الاحرار الذين يرى فيهم نذر الشر من الداخل والخارج .

وبطل طبعاً مفعول اللعبة في الجانبين ، وأصبح لزاماً بعدها وبالضرورة ان يرتاد الطريق الطويل .. طريق الجمهورية لأنه لا بديل له ..

●

لقد كان راسخاً في وعي الأحرار ان المستنيرين في اليمن وهم قلة ، لا يستطيعون وحدهم ان يزيلوا نظاماً او يقيموا نظاماً ، ولذلك مضت محاولاتهم تبحث عن سند من السلطة الحاكمة ذاتها ، فلما استنفدت هذه الوسيلة ، اتجهت انظارهم للارض التي تقف عليها السلطة اساساً والقوة التي تضرب بها محاولات التغيير ، وهي القبائل ، وحتى تحس القبائل معنى التغيير الكبير دارت المباحثات على اساس تغيير نظام الحكم من ملكية الى جمهورية يرأسها شيخ من مشائخ القبائل ، وينوب عنه احد الأحرار ، ودون مضي في التفاصيل عن أساليب الحكم ومحاولة حل التناقضات الحافلة في حياة الشعب ، والتفات بالدراسة والتبصير للمشاكل الأساسية ، تركز كل

**البحث خلال سنين عمن يهد البناء القائم .. وكيف ؟ او على الاصح من يقضي على الامام احمد .. !**

وعدنا من حيثما بدأنا عام ١٩٤٨ مع فارق واحد هو تغيير الشكل للنظام ، والاشارة في الميثاق الوطني الذي أعد كدستور مؤقت ، للأخذ بنظام الادارة المحليـــة ، وتكوين الجمعيات والنقابات .

لقد تركز الجهد منذ أواخر عام ١٩٥٥ عندما جعل السعي للجمهورية أساس المعارضة ، حتى عام ١٩٦٢ ، تركزت الجهود كلها في محاولة الخلاص من الامام احمد الذي مات موتة طبيعية بعد حمام دافىء في قصره بتعز .. ولذلك كانت وفاته مفاجأة مذهلة لجميع الاطراف التي لم تكن مستعدة للخطوة التاليـــة ، فلقد كان من تخطيطات المؤامرات المتعددة على الامام ، ان يبادر فوراً للقضاء على البدر ، وكثيراً ما كان وضوح العجز عن توحيد التوقيت للعمليتين عذراً كبـــيراً للمتعهدين بالخلاص من الامام حتى لا يتخذ البدر من مصرع أبيـــه سبباً يستعدي به القبائل على القائمين بالعملية ، وكان القضاء على البدر في تقديرات الجميع أهون الامور .

●

وفي خضم المفاجأة ومن بـين الانفعالات المرتبكة ، دوت

المدافـــع عشية الاربعاء السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ مصوبة طلقاتها على القصر الذي ينزل فيه البدر في صنعاء ، وفيما كان الاعتقاد السائد أن البدر قد وقع تحت انقاض القصر، كانت الرشاشات تعبر بتتابع رهيب عن المشاعر الصنعائية الحبيسة منذ اربعين عاماً .. مشاعر الحقد والانتقام من اولئك المتربعين للكراسي بجانب الائمة ، ممن عرفوا بالمعممين سواء كانوا هاشميين او قحطانيين . فلما اصبح واضحاً ان القصر لم يتحول الى أنقاض بعد ، فيمكن له ان يقضي على أحد تحته ، تدافعت الى الأذهان صور القبائل تحيط بصنعاء لتنهبها كما حدث سنة ١٩٤٨ ، وتقضي على من فيها تحت لواء أية داعية او مثير لها .

وكان رد الفعل العاجل ان يواجه الموقف الضباط الذين عاشوا مأساة صنعاء ١٩٤٨ ، ونموا من قبل ومن بعد في الجو الصنعائي المدني ، المنفعل أعمق الانفعالات وأوسعها بمشاعر الازدراء للقبيلي والخوف منه، ولقد كانت مواجهتهم للقبائل قاسيةوعنيفة ومتحدية ايضاً ، إذ اعتبر الضابط نفسه أقوى من القبيلي ما دام يمتلك سلاحاً احدث من سلاح القبيلي ، وبالتالي فليس هناك ما يمنع من تصفية الحساب التاريخي على الفور وكلما لاحت الفرصة ، وهذا هو ما يفسر لنا اندفاع البعض بالدبابات والرشاشات بدون استعداد كاف من الرجال او دراسة للمواقع ، مما أوقع بعض هذه الطلائع مع دباباتهم في الخنادق التي لجأت بعض القبائل لحفرها في الطريق وتغطيتها

**لتتحول الى فخاخ للزاحفين بدباباتهم .**

●

وتلاحقت الافعال وردودها كل هذا الوقت .

لقد كانت الامامة محبساً لكل هذه التفاعلات ، ومجال اختمار لها ، فما أن فك العقل وانفتح المحبس ، حتى انطلقت الثارات والأحقاد الماردة تخرب وتدمر في كل مجال ، **ومن خلال الاحداث الدامية المدمرة التي مرت باليمن خلال هذه الفترة ، برزت القوة العاتية التي يدور الصراع بها ، وأعني بها قوة القبائل التي تحارب على جانبي المعركة ، ويبدو أنها لا تريد للعراك انتهاء ، لانها راضية النفس بكل ما تلقاه القيادات من مخاوف متبادلة ، ترغمها على تلبية الطلبات المتلاحقة للقبائل ، والمتمثلة في المال والسلاح ..**

وما أصدق ما قاله الاستاذ محمـــد أنعم غالب في قصيدته « الغريب » في تصوير هذه الحالة عند القبيلي :

أنا المحارب الشجاع ..

أجيد إطلاق الرصاص ..

رصاصي ما أخطأت قط هدف

الحرب لي عمل .!

●

نعم الحرب لي عمل .. هي التصوير الأمين الدقيق لإعتقاد القبيلي في اليمن اليوم . وهناك العديد من مشائخ القبائل الذين يتساءلون صراحة :

وماذا بعد الحرب ؟.. ومن أين ستعيش القبائل ؟

إن القبيلي في المعركة ينفس عن احقاده .. ضد الهاشمي.. وضد المدني .. وضد العسكري .. وضد الفلاح .. والتاجر.. فهو يقتل ، ويرعب ، ويقطع الطريق ، ويدمر .. كل شيء له مباح .. وأيا كان الموقع الذي يقف فيه القبيلي ، فانه يحارب ضد خصم من خصومه التاريخيين ، سواء كان يحمل هذا الشعار او ذاك ، او يستظل بهذه الراية او ذلك العلم .. وكما يقولون في امثالهم « أينما وقعت نفعت ! والعصا ما تخطي رأس الكلب ..! »

ان القبيلي الذي احتجز بعيداً عن مجالات التقدم والحضارة يحس بغربته في مواجهة كل الفئات الاجتماعية ، وبالتالي يحقد عليها لاستشعاره التفاوت الحضاري بينه وبينها ، فيعوض عن هذه المشاعر باللجوء للقوة التي استأثر بها دون بقية الفئات ، فهو يحاول ان يذل كبرياء كل القوى الاجتماعية والسياسية ، ولسوء الحظ أن هذه الفئة المتعاظمة القوة يوماً بعد يوم ، لم تتح فرصة ترويضها الذهني ، لتسلس قيادها للطليعة الواعية من احرار البلاد ، ليمكنوها من استخدام

مكانتها القوية لأهداف اجتماعية تقدمية ، تخدم الاستقرار والتحضير للمناطق القبلية نفسها ، بحيث يزال الخلف التاريخي الذي خلفه التفاوت الحضاري بين مناطق اليمن فولد التناقضات الحادة الدامية بين بنيه . .



مــــع التــاريـخ..

تلك هي الأحلام المختلطة في وعي الشعب اليمني ، والمتناقضات المتصارعة في وجوده .. وتلك هي محاولاته لتحقيق الاحلام وحل المتناقضات .. وما من شك في أن الصورة بما تحفل به من دقائق عجيبة ، صورة مرعبة وتكاد تكون باعثة على التشاؤم في إمكانية الوصول لمخرج سليم يعيد لهذا الشعب استقراره وطمأنينته ، ويبعث في نفوس أبنائه مشاعر حب الحياة الخلاقة ، فينصرف بجهوده للبناء والتعمير ، ويستعيد إنسانيته الكاملة بين أمم العالم ، متمتعاً بالاحترام ، والتقدير ، لا الإشفاق والرثاء الذي قد يكون في بعض الاحيان نوعاً من التحقير والازدراء .

●

لقد حاولنا القفز على الحواجز ، ثم دبرنا المكائد ، وانفجر البركان ، يريد أن يحطم كل شيء ويسحق كل مقاوم ... ثم وجدنا أنفسنا بعد ذلك نواجه حقائق وجودنا صارخة مجردة ، وننظر لتناقضات حياتنا سافرة مفزعة ..

● الحريق والدمار لأرض القبائل ..

● والنسف والاغتيال في المدن ..

● وقتل العساكر للفلاحين في « ماوية » و « شرعب » ، ونهب الدكاكين في « الحديدة » و « تعز » ..

● والاعدامات للهاشميين والمعممين الكبار من القحطانيين ..

● والصراع المخيف على اقتسام المراكز بين الزيود والشوافع ..

● وتهامة التي تبحث عن نسب لها بين الفئات المختلفة كلها ، تشكو انصراف الجميع عنها ، وتضيق بالوافدين « الجبالية » اليها ، « فالحديدة » لأبنائها أولاً ، وليعد أهل البلاد الباردة الى الجبال .!

كل ذلك قد كان ..

وعلى قدر ما يرعب المرء ان يواجه ذلك دفعة واحدة ، غير ان الذي يهون المصيبة هو بروز التناقضات كلها بدون ستار ولا مواربة ، وليس الخطير ان تسفر هذه التناقضات عن وجهها ، ولكن الخطير حقا ان يحاول محاول تجاهلها او إنكارها او تخطيها . إن التفهم الكامل لابعاد المشكلة والاحاطة الشاملة بالقضية على مراميها الواسعة هو مفتاح الموقف لحل الاشكال اليمني ، ويبدو ان التعبير الدبلوماسي الدقيق الذى ورد في البيان المشترك في ١٤ - ٩ - ١٩٦٤ عن مباحثات الاسكندرية حول قضية اليمن ، قد كان مشارفة واعية لحل المشكلة بقدر ما كان تسمية مدركة ، إذ ورد التعهد بالسعي لدى « الاطراف المعنية » للتوصل الى حلول تكفل الاستقرار في اليمن ، وحل المنازعات بالطرق السلمية .

ان الاطراف المعنية ، لم يكن تعبيرا دبلوماسيا للتخلص من اشكالات سياسية فحسب ، وإنما هو قبل ذلك وبعده ، ومن فوق ذلك ايضاً تعبير تاريخي ، وتحليل اجتماعي ، للقضية اليمنية الحقيقية.. واعتباره على هذا النحو ، هو اول الخيط الذى يجب ان نمسك به لنصل لحل المشكلة ..

●

إننا فعلاً أطراف .. ولكم كان قاسيــاً على نفسي وأنا في « أركويت » بالسودان اثناء مباحثات اللجنة التحضيرية ، أن أشهــد اثنين من الأخوة العرب أحدهما من الجمهورية العربية المتحدة والثاني من المملكة العربية السعودية ، وهما يسردان لنا نحن اليمنيين أسماء المناطق اليمنية واقسامها الادارية والقبلية ، وذلك ليصححا البيانات لنا نحن اليمنيين ، وفينا شيخ القبيلة ، والضابط ، والسياسي ، والدبلوماسي.. **لقد تهولت يومها بيني وبين نفسي مدى الجهل الفظيع الذي نجهل به بلادنا ونجهل به بعضنا بعضا بسبب التقاطع والتدابر والتناحر الذي عشناه ولا تزال حياتنا حتى اليوم منفعلة به .** واستعدت في ذاكرتي الماضي الذي عاشته اليمن خلال ألف عام ، فازددت يقينــاً واستمساكا بدلالات « الأطراف المعنية » ، ففي اليمن تواريخ لا تاريخ خلال هــذه الحقبة من الزمن ، ولهـا الى حد كبير ارتباطات جغرافية واقتصادية بالطبع ، ما تزال آثارها قائمة حتى اليوم بأشكال جديدة ، وتحت أسماء غير الاسماء القديمة ، وحسبنا أن نستطرد هنا وبشكل سريع اسمــاء الدويلات التي نشأت في اليمن خلال هــذه الفترة لندرك عمق هذا التمزق في تاريخ اليمن .

لقد أقر النبي محمد ، الحاكم الفارسي الذي سيطر على اليمن

فلما توفي « باذان » عام حجـة الوداع ، عين النبي « ابن باذان » حاكما على صنعاء ، وعـين معه عشرة عمال لبقية أنحـاء اليمن . وكان أغلب الحكام او جميعهم على الأصح منتدبين من الحجاز ، وبحسب القاعدة كانت الضرائب تجبى الى العاصمـة الاسلامية وليس الى العاصمة اليمنية اذ ليس هناك عاصمـــة . ولما أراد اليمنيون ان يحتفظوا بزكوة أغنياء اليمن لتصرف على فقرائها ، وأن يقيموا حكماً ذاتياً يطبقون فيه شريعة الاسلام على أنفسهم ، مادام الاسلام لم يقض على العصبية الجاهلية ويؤاخي بين المسلمين .. حتى يتساووا في ظله في احتلال مراكز القيادة وإدارة دفـــة الدولة ، ووجهت هذه الارادة بحملة عنيفة قاسية ، وصور الداعون لها مرتدين عن الاسلام ، وتحت هذه الدعوى العريضة أثيرت الحرب على البطل اليمني عبهلة بن قيس « الملقب بالاسود العنسي » ، ولوحق باللعنات حتى اليوم ، رغم انه حدد قضيته بقوله : ( نحبس فضول اموالنا في ارضنا ، نأخذها من اغنيائنا ونوزعها على فقرائنا ) .

وبعد إخماد حركة « عبهلة بن قيس » واغتيال « سعد بن عبادة » الذى لم يقبل بالمنطق العشائري الذى جاء في يوم السقيفة ، إذ اعتبر النسب القرشي والقرب من الرسول اساسا للولاية في الدولة ، انتهج الخلفاء القرشيون في صدر

الاسلام ، او في ظل الامويين والعباسيين سياسة متعصبة ضد اليمنيين ، هادفة لامتصاص الطاقات البشرية فيها وانتزاعها من ارضها ، ولذلك كانت اليمن المعين الذي لا ينضب للجيوش العربية ، التي نشرت الاسلام بالقوة خارج الجزيرة العربية ، فلم يبق خلال الفتوحات من اهل اليمن إلا المرتبطون بالأرض يفلحونها ويقدمون زكاتها للولاة ليبعثوها الى « المدينة » أو « دمشق » أو « بغداد » .

واستمر الحال على هذا حتى أيام « المأمون بن هارون الرشيد » الذي بعث والياً اسمه « محمد بن ابراهيم بن زياد بن ابيه » ، ليقضي على المحاولة العلوية التي قام بها « ابراهيم بن موسى الكاظم » عام ٢٠٠ هـ اذ قضى على عامل المأمون في اليمن، واستقل بالحكم فيها ، حتى وصل « ابن زياد » عام٢٠٣هـ فقضى عليه وسيطر على اليمن جميعه ، وبدأ يؤسس قواعد دولة موحدة مستقلة ، وإن كان يدعو في خطبه للخليفة العباسي ويبعث له قدراً من الخراج .

ومع ضعف الدولة العباسية استغل بنو زياد الفرصة ليستقلوا بالامر ، وبدأت المعارك من يومها ، بحيث جزئت اليمن أجزاء مختلفة بحسب قدرة كل طرف يثير عراكا ، فنشأت هذه

الدويلات منذ خلافة المأمون حتى اليوم الذي أعلن فيه النظام الجمهوري .

١ – الزياديون .

٢ – بنو يعفر .

٣ – القرامطة .

٤ – الأئمة .

٥ – آل الضحاك .

٦ – آل الكرندي .

٧ – بنو نجاح .

٨ – الصليحيون .

٩ – بنو المغلس .

١٠ – اليامي الهمداني

١١ – بنو مهدي .

١٢ – بنو معن .

١٣ – بنو زريع .

١٤ – الأيوبيون .

١٥ – الرسوليون .

١٦ – الطاهريون .

١٧ – الجراكسة المصريون .

١٨ – الاتراك .

وطبيعي أن هذه الدول او الدويلات لم تحكم اليمن بشكل متلاحق او أنها كانت تحكم كل اليمن ، وإنما كانت تشترك اكثر من دويلة في بعض الاحيان في الحكم فترة واحدة ، وتتغلب على بعضها لحين ، ثم تعود الى السلطة ، وربما ساعدنا الجدول التالي على فهم ذلك :

من ٢٠٤ إلى ٢٢٩هـ انفراد الزياديين .

« ٢٢٩ « ٢٦٧هـ اشتراك الزياديين وبني يعفر .

« ٢٦٧ « ٢٨٤هـ اشتراك الزياديين وبني يعفر ، والقرامطة .

من ٢٨٤ الى ٣٠٣هـ اشتراك الزياديين وبني يعفر ، والقرامطة ، وآل الضحاك ، وآل الكرندي .

» ٣٠٣ « ٣٨٩هـ اشتراك الزياديين ، وبني يعفر ، والائمة .

» ٣٨٩ « ٤٠٧هـ اشتراك الزياديين والائمة فقط .

» ٤٠٧ « ٤٢٨هـ اشتراك بني نجاح والائمة .

» ٤٢٨ « ٤٧٣هـ اشتراك الصليحيين والائمة .

» ٤٧٣ « ٤٩٢هـ اشتراك الصليحيين ، والائمة ، وبني نجاح .

» ٤٩٢ « ٥٢٣هـ اشتراك الائمة ، وبني نجاح ، وبني المغلس .

» ٥٢٣ « ٥٦٩هـ اشتراك اليامي الهمداني ، وبني مهـدي ، وبني معن ، وبني زريـع ، والائمة .

» ٥٦٩ « ٦٢٦هـ اشتراك الائمة والايوبيين .

» ٦٢٦ « ٨٥٩هـ اشتراك الأئمة والرسوليين .

» ٨٥٩ « ٩٢٥هـ اشتراك الائمة والطاهريين .

» ٩٢٥ « ٩٤٥هـ اشتراك الائمة والجراكسة المصريين .

» ٩٤٥ « ١٠٤٥هـ اشتراك الائمة والاتراك .

من ١٠٤٥ الى ١٢٣٤هـ الائمة فقط ( وهنا يبدأ استقرار انفصال الجنوب ) .

« ١٢٣٤ « ١٣٣٧هـ الائمة والاتراك .

« ١٣٣٧ « ١٣٨١هـ الائمة .

●

ذاك هو واقعنا في التاريخ، وإن كان بحرد السرد لا يعطي كل المكونات للافعال والنتائج النفسية ، والسياسية ، الا انه يؤكد اولا معنى « الاطراف » ويرسخه .. ومواجهة هذه الحقيقة في الوجود اليمني هي كسب لنصف الجولة ، في طريق الحل للمشكلة .

إن التاريخ اليمني لم يستطع ابدأ ان يحسم فريق فيه الامر على طريقته الخاصة ، وكأن التكوين الجيولوجي العجيب لليمن ، والذي يحوي مناخات متعددة ، وتضاريس متفاوتة العلو ، ووهاداً تختلف في عرضها ، وطولها ، وطبيعة جوها.. كأن لهذا التكوين أثره البالغ في الامر ، وليس من حكمة ان ينهج المرء في مواجهة الطبيعة ، نهجا مبنيا على التجاهل والرفض لأسسها ، وإنما الحكمة ، كل الحكمـــة ، في إقرار

الواقع ومحاولة التغلب على جوانب السوء فيه ، وتطويره ، لخير الانسان .

وفي تقديري ، أن الاستجابة الرصينة ، التي استجاب بها قادة الاحرار اليمنيين ، للدعوة الحكيمة لالتقاء ممثلي الأطراف المعنية ، انما كانت انصياعاً للقانون التاريخي ، الذي يحكم وجود اليمن منذ آلاف السنين ، وبهذه الروح ، وعلى هذا المستوى ، من تقدير الموقف كان لقاء « اركويت » في السودان ، أولاً ثم اللقاء في « حرض » .

وليس من قبيل الادعاء ، او التبرير ، ان يورد هذا القول هنا ، فقد سبق أن دار الحديث حول هذه النقطة ساعات يوم كان أول لقاء بين ممثلي الاطراف المعنية في « اركويت » ، فقد كان وعي هذه الحقيقة شائعاً واضحاً متفقاً عليه .. وهو الذي قادنا يومها لتحديد الخطوات التالية التي شملها البيان الذي أعلنا فيه وقف اطلاق النار ، وعقد المؤتمر الوطني لوضع الأسس الكفيلة بحل الخلافات القائمة بالطرق السلمية .

.. والمخرج..؟

عبث أن يطلب التغيير لذات التغيير ..

وأن تقترن محاولة التغيير بالدماء ، والخراب والدمار ، والحرب الطويلة القاسية ، دون ان يكون لهـذه المحاولة فهم إنساني سليم ، نابع من واقع الحياة لمن يحاول التغيير ، هادف للتطوير والتحسين في جوهره وأسلوبه .

أن يكون ذلك كذلك ، لهو أمر أبعد من العبث .. إذ يجعلنا نرى من يحاول ذاك وكأنه محكوم بجبرية تلغي إرادة الانسان وفهمه ، وتجعله قطعة كونية متحركة بغير إرادة ذاتية واعية ، شأنه شأن الزهرة تتفتح ويضوع شذاها دون تفكير او إرادة ، لأن تنعشنا بنسماتها العطرة ، او الرياح السافية تثور بلا قصد او إدراك لأثرها على أعيننا ومظهرنا وحركتنا .. هو كالمطر الذي يسقي الارض بدون قصد ، او الزلزال الذي يشق

الارض ويلتهم من عليها دون إرادة ولا وعي .

ولقد زود الانسان بالعقل كي يعطيه إمكانيـــة التفكير والتدبير لأفعاله حتى يصوغ حياته رخية رضية ، خليـة من البؤس والفزع والمشقة ، يحياها في يسر .. وسرور .. وسلام..

واذا لم نجرد أنفسنا في اليمن من العقل ، فان الهدف الثابت لكل الاطراف المعنية في اليمن خلال التاريخ كله ، قد كان الوصول الى هذا النموذج من الحياة .. وإن بدا الامر علىالنقيض من خلال التجارب والمحاولات ، بسبب التصورات المغلوطـة عند كل فئة عن الأخرى ، تلك التصورات التي صنعتها مشقـة اللقاء والاختلاط بسبب صعوبة الانتقال ، واختلاف الأجواء وانحصار كل فريق في منطقته ، إلا من ضاقت به الحياة فيها ..

وبإشعاع الحضارة الحديثة في مطلع القرن العشرين ، تلك الإشعاعات الخافتة التي كانت باعثاً من بواعث قيـــام حركة الأحرار اليمنيين ، نرانا أمام التقاء لهذه الأشواق والتطلعات في نفوس اليمنيين جميعاً ، لتغيير وجهة حياتهم على نحو أفضل .

**وأيا كان الاسلوب وطابع كل محاولة ، فان القاسم المشترك بينها جميعاً قد كان الرغبة الملحة في أن يحيا كل يمني حياة رخية هانئة .**

وفي كل شعب ، وكل تحول تاريخي لا نجد جماهير الشعب كلها تتحرك في موكب واحد نحو الهدف ، وكأنها طابور عسكري موحد الزي والشارة والخطوات ، يظله علم واحد .. بل إن فريقاً من ابناء الشعب يتميزون عن الآخرين بالقدرة على تحسس الرغبات الشائعة عند الجماهير ، ويقدرون على صياغتها في افكار وخطط وشعارات ، هم الذين يتولون قيادة الركب ، وقد يظلون لوقت طويـــل هم القيادة وهم الركب ، لأن لغتهم في الغالب تكون غير مفهومة ولا واضحة للآخرين ، ويبدون وكأنهم في حاجة لمن يفسرهم لشعبهم .. وذاك شأن كل الدعاة الذين يحتاجون دائماً لعامل الزمن ، حتى يلتحموا بجماهير شعبهم في وحدة شعورية ، يتمكنون خلالها من قيادة شعبهم لتحقيق نموذج الحياة الجديد الذى يدعون إليـه .

ومن الثابت المألوف أن هؤلاء الرواد يكونون في العادة من الفئة المستنيرة ، الآخذة بنصيب من الثقافة الانسانية ، والذين يقوون على النظرة الشـــاملة للأمور ، ولا ينحبسون في دوائر ضيقة من دوائر الفكر والحياة ..

ولقد كان حظ اليمن من هؤلاء شحيحاً عنـــد قيام حركة

الاحرار اليمنيين ، وجاءت الاحداث الدامية خلال الثلاثين عاماً الماضية ، لتزيد من هـــذا الشح إما بالاعدام ، او الخنق الفكري والتشتيت ، او التمييع والارباك .

●

واليوم ونحن نتحسس الطريق باحثين عن المخرج لا بد لنا من تحديد المسئولية أولاً .. ثم المسئول عن احتمال المسئوليـــة ، القادر عليها ..

والمسئولية التاريخية التي تواجهنا اليوم في اليمن هي التوصل الى صيغة موحدة لأهداف الشعب .. كل الشعب .. وإشاعة الفهم بين جميع الفئات لهذه الصيغة الموحدة ، التي ستحتاج حتما لكل القوى الشعبية كي تحققها وتحميها ، بقناعة واعية وإصرار دائم رصين .

والجهد في الحالـــين لا يقوى عليــه بحكم التكوين العقلي والنفسي ، غـير الشباب المستنير من أبناء اليمن في الداخل والخارج .. ومن السذاجة المفرطة في تقييم الامور ، ان يقول قائل بأن هذه أمور مفروغ منها ، وهي واضحة للعيان لاتحتاج الى جهد او عناء .

إننا كما أسلفت اطراف .. وفئات .. وعقليات .. ونماذج

**بشرية مختلفة لا تعرف بعضها بعضاً ، فنحن احوج ما نكون اولا لمعرفة انفسنا معرفة صحيحة وشاملة .. معتمدة على الدرامة والاحصاء ، والتعمق في بحث الجذور التاريخية لكل ظاهرة ، والآثار الاقتصادية والنفسية لكل قاعدة من قواعد مجتمعاتنا المتعددة ، في المشرق وتهامة والشام « والعدن » .**

●

ليس بين يدينا حتى اليوم كتاب يقدم لنا تاريخ اليمن في بساطة نتعرف من خلاله على العلاقات بين أنحاء اليمن خلال العهد الماضي .؟ ولا ما هي النظم السياسية التي تلاحقت على البلاد . ويحتاج المرء الى جهد جهيد يضرب في بطون عشرات الكتب ليستخلص تاريخ فترة من الفترات ..

والخريطة الشاملة لليمن ، لم تعرف سبيلاً لأعين الناس على اختلاف مستوياتهم .. خريطة الارض لمعرفة أقسامها ونواحيها ، ناهيك عن خرائط الانتاج التي يتبين منهـــا ما في الارض من محاصيل او معادن ..

وفنون اليمن في التعبير سواء بالرسم ، او الكتابة ، بالغناء او الرقص ، لا يعلم المرء عنه شيئاً ، ولا يستطيع ان يتميزه او يدركه .

والعادات والتقاليد الاجتماعية .. والأحكام والقوانـــين العرفية بين القبائل المتعـددة المجهولة .. كيف يمكن الوصول لفهمها ، حتى يستطاع التعامل مع اصحابها ، والتفاهم معهم كي تأتي خطة التغيير معبرة عن هؤلاء كطرف من الاطراف المعنية .. !

ثم ...

ما حقيقة ما نملك في أرضنا ..

وما الذي نحتاجه لمواجهة تبعاتنا المالية العادية الرتيبـة .

وهل عندنا من الفائض ما يتكافأ وأحلامنا الواسعة في تغيير وتطوير أساليب الحياة .. حتى لا يشط بنا الخيال ، او نظـل أسرى أوهام باطلة تصور لنا القدرة على الانطلاق الواسع ، في مضامير التقدم ، بينما قدراتنا أضعف من أحلامنا ..

**إننا اشد ما نكون حاجة لدراسة انفسنا .. وبلادنا .. تاريخا .. وواقعا .. حتى لا ننطلق في تخطيطاتنا راكضين وراء الخيالات ، نتصارع ونتناحر على مجرد الاحتمالات والتصورات ..**

لم نبلغ بعد ، مرحلة اكتشاف بلادنا ، لنقوى بالتـــالي على تخطيط سير حياتها .. فلنعرف أنفسنا اولاً .. وجيداً .

ولنتقدم بهذه المعرفة ، لكل مواطنينا ، حتى نعي حقيقتنا وبالتالي نقوى على التفكير الأكثر واقعية ، وأقدر إنتاجاً ..

**إننا اشد ما نكون حاجة لمعرفة اليمن ، كل اليمن .. حتى تتضح معالمها ، وتبدو صورتها بملامحها جميعا امام ابناء اليمن انفسهم اولا ، فينمو إحساس الشعب بوحدة تكوينه، ويتعمق شعوره بذاته المتماسكة ، وتتحول الاطراف المعنية الى شعب موحد يخطو في مجالات الحياة بارادة موحدة، وفكر موحد .**

•

وطبيعي أن مسئولية اكتشاف اليمن الملقاة على جيل شباب الاحرار اليمنيين لا تعني الدعوة للانغلاق على الذات داخل الحدود، وقطع الصلات مع العالمين .. ولكنها إعداد النفس لتحمل التبعات الانسانية لشعب اليمن على مختلف المستويات عربية ودولية . فاننا لا نستطيع ان نكون ذوي أثر في أي مجال ما لم نكن أولاً .. أي ما لم نوجد نحن .. ولن نوجد حقاً إلا اذا عرفنا أنفسنا - بالطبع - ووضعنا قدمنا على اول سلم الوجود كشعب موحد الشعور والوجدان .

إنه لا يمكن لنا أن نعيش في عالم اليوم منعزلين .. ولكننا

ايضاً لا يمكن ان نعيش فيه اذا بددنا مشاعرنا ، في كل اتجاه ، وانتقلنا من حالة التمزق الداخلي الى حالة التيـــه الفكري ، والصعلكة الشعورية ، نوزع حماسنـا في مختلف الاتجاهات ، ويولي كل فريق منا وجهــه شطر حرم يختاره هنا او هناك .

ان اليمن لا يمكن ان تبنى من خارج ذاتها .

أي أن نقطة البدء في التحول الحقيقي هي نفس المواطن اليمني لأنه هو وحده الذات الداخلية لليمن .

ما مدى وعيه بحقيقته كيمني . وما هي الأبعاد النفسيـــة داخله لكلمة اليمن ..

ما حدود اليمن ..

وملامحها في التاريخ .

ومن هو شعب اليمن الذي ينتسب اليه .

هل اليمن قريتنا .. او قبيلتنا .

أم هي أوسع من ذلك وأشمل .. وإلى اي حد ...؟ حد اللواء أم حد المذهب الديني .. أم حد المنطقة الجغرافية ...؟

وأبناء من نحن .

أنحن من سلالة واحدة معتزة بماضيها ، أم نحن سلالات متعددة مختلطة ، تتصارع في أعراقنا الدماء المتحاربة في القديم.

والامل الكبير الذي يحدونا كشعب يحيا في الثلث الاخير من القرن العشرين .. ما هو ؟

وما أسلوب الحياة الذي نحرص على ان يسود حياتنا .

وما علاقتنا ببعضنا ، وبالوجود من حوالينا .

من نحن ..

وماذا نريد .

وهل نحن « نحن » .. أم أننا مجرد جمع لـ « أنا » .

وهل نحن نريد ..

أم كل واحد منا يريد ..

لنكن أولاً ..

لتكن اليمن شيئاً محسوساً ملموساً عند بنيها .

وليكن شعب اليمن شعباً ، وليس مجموع أفراد ..

ويومها ..

يوم أن نكون ..

ويوم أن نكتشف بلادنا في الواقع والتاريخ ، سيكون لنا وزن إن اقتحمنا المجالات القومية والدولية نسهم فيها بدورنا .

ودون تحقيق ذلك لن نعدو أن نكون عبئاً ثقيلاً بغيضاً على الغير ، مهما كانت علاقته بنا ، فالمرء يضيق بعضوه المشلول وهو جزء من جسمه ، فكيف بما دون ذلك .

وليس الامر أمر ثقل واستثقال .. ولكنه أخطر من ذلك وأكبر .. أو هو أسوأ وأحقر .. أن نظل مزقاً متنافرة .. وفرقاً متناحرة لا يعني أكثر من أننا طاعون على أنفسنا ، لا نقوى على غير الافناء ، ولكن بشكل يضيف علينا الى جانب الحمق والغفلة .. التواكل المهين ، والدونية المزرية .

★

# أغلوطة عقيمة

اقتران انفجار البركان اليمني بتشابك العلاقات اليمنية السعودية والمصرية ، وبروز عامل المشاركة المصرية والسعودية في الاضطراب الطويل الذي ساد البلاد في الاعوام الثلاثة الماضية، جعل الكثيرين يرون ان المخرج الحقيقي هو في الوفاق بين القاهرة والرياض ، وان ذلك هو العامل الحاسم الذي سيحل السلام والاستقرار في اليمن، ويكون البلسم السحري لكل ما تشكوه اليمن ..

وبقدر ما ينبهر المرء لهذا المنطق اول سماعه ، إلا أن قدراً من التعمق في تكوين المشكلة اليمنية يكشف عن بساطة هذه النظرة ، وعقم الانسياق وراءها ؛ وبسبب التشتت الذي

يحياه اليمنيون كأطراف متعددة المشارب والاتجاهات ، أمكن لهذا التفكير ان يستأثر بكل الاهتمامات ، وبالتالي استطاع ان يجمد كل مسعى للبحث عن مخرج يمني حقيقي يواجه مشكلة اليمن الذاتية .. فما أن أحييت اتفاقية جدة شقيقتها المرحومة اتفاقية الاسكندرية ، حتى هلل الشرق والمغرب داخل اليمن وخارجها ابتهاجاً واستبشاراً .. وجاء مؤتمر حرض في ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ ، عوضاً عن مؤتمر حرض في ٢٣ نوفمبر ١٩٦٤ الذي اتفق على عقده في مؤتمر اركويت ، بناء على اتفاقية الاسكندرية ، فازداد الناس تفاؤلاً وأملاً بحل المشكلة .

•

وبرزت الحقيقة ..

نعم .. لقد اتفقت القاهرة والرياض .

وجاء مراقبو الدولتين يلحون على الاطراف اليمنية أن تنفذ اتفاقية جدة .

ألح المراقبون ..

وضغطوا ..

ولكن المندوبين اليمنيين الى مؤتمر حرض ، لم يستطيعوا ان يفقهوا الاتفاقية .

لقد كتبت بلغة غير يمنية .. لان القاموس اليمني لم يكن عند واضعي الاتفاقية ، وأعني به قاموس الخلافات اليمنية ..

كان أمام واضعي الاتفاقيـــة قاموس الخلافات المصرية السعودية في اليمن ...

وبسهولة استطاعوا ان يضعوا الاتفاقية ..

إلا أنه فاتهم أن التنفيذ سيوكل الى غيرهم ..

وهؤلاء لا يستطيعون ان يقرأوا غير لغتهم ..

وليسوا معنيين كثيراً بحل مشاكل غيرهم ، قدر ما يعنيهم حل مشاكلهم التاريخية ، التي تأتي تعقيداتها الخارجية في مستوى ثانوي مهما بلغت تأثيراتها الآنية .

ولقد قضى المؤتمرون شهراً كاملا ، لم يستطيعوا ان يتقدموا قيد شعرة في ايجاد مخرج لان الاساس لم يكن منطقيا، ولربما انعقد المؤتمر مرة اخرى بعد اليوم ، وأمكنه ان يصل لقرار ما تحت اي ظرف من الظروف ..

**ولكن ..**

**كل قرار يتخذ دون الاعتبار الوافي والصحيح لكل مشاكل اليمن .. لا يمكن ان يعيش طويلا ..**

**والذي نبحث عنه هو حل المشكلة ، وليس مجرد ارجاء مواجهتها الى وقت آخر تنفجر فيه الأحقاد من جديد ، بعد ان يستعد الآخرون خارج اليمن لجولة ثانية يصفون فيها حساباتهم مع بعض داخل اليمن .**

إن اساس الحل الحقيقي لا يكمن في غير دعوة اهل الحل والعقد الحقيقيين في اليمن ، لمؤتمر شامل يبحثون فيه مصير بلادهم ، ويضعون الحلول لمشاكلهم الذاتية والخارجية .. الآنية والتاريخية .

وحين اقول اهل الحل والعقد الحقيقيين ، فاني أقصد بذلك ذوي الفعالية الشعبية ، غير المفتعلة او الموجهة او المدعومة .

وما من سبيل لذلك إلا أن يفرض اليمنيون أنفسهم هذا الحل ، بعيداً عن الرضوخ والاستسلام أمام الأطباء الذين يتولون معالجة المرضى بالالهام السماوي دون استجواب للمرضى عما يشكون ، لأنهم يعجزون عن التفاهم مع المرضى ..

واذا كان هناك اشفاق حقيقي على اليمنيين من أنفسهم لئلا يتناحروا .. وكانت هناك رغبة قوية راسخة في خلق اجواء طيبة للتفاهم فيا بين اليمنيين ، فعلى الذين أذكوا نار الحرب وزادوها ضراماً، ان يبتعدوا تماماً عن ممارسة التوجيه، وذلك باشراك اشقائهم الاخرين الذين لا يقلون حرصاً منهم على سلامة اليمن واستقرارها ..

ونحن وقد بلغ بنا الحديث حيث بلغ .. لا بد لنا من وقفة قصيرة نستعرض فيها جذور اللقاء المصري السعودي في اليمن.. والرواسب التاريخية التي تنفعل في مشاعر اليمنيين تجاه اشقائهم في السعودية ومصر ، حتى ندرك أهمية المشاركة العربية الشاملة في حل القضية اليمنية .. والحيلولة دون ترسيخ عقد جديدة في العلاقات بين اليمن وبعض أشقائها .

من إمعان النظر ولو قليلا في تاريخ اليمن خلال الاربعة عشر قرناً الماضية ، نجد الالتقاء والافتراق يتلاحق على فترات ، بين اليمن وقطرين عربيين آخرين .. هما السعودية ومصر . فانه مهما سميت الدول العربية القديمة بأسماء بعيدة عن « الحجاز » او « نجد » إلا أن الأساس لها قد كان واحداً،وهو قريش .. أو العدنانية المنافسة للقحطانية ، والنقيض لها من غابر الأزمان ..

ولذلك « فالخلافة » او « الأموية » او « العباسية » وما تفرع منها ، انما كانت جميعهـــا امتداداً للصراع القديم ، وجاءت الامامة بعد ذلك لتضع لأسس الصراع قداسة دينية ايضاً..

ذاك شأن السعودية في تاريخ اليمن القديم ، ثم نرجع البصر كرتين في الجدول السابق ، لينقلب لنا بالصليحيين ثم الرسوليين، وهم انعكاسات للدولة المصرية الفاطمية ، ناهيك عن الأيوبيين والجراكسة المصريين الذين حكموا البلاد باسمهم مباشرة .

ومن عجب ان تاريخ اليمن قد حفل بصراعات مصر والسعودية ، وتنافسهما في عون المتنازعين من اليمنيين ، الذين كانوا يستدرجون الدولتين لتأييدهم على بعضهم بعضاً ، مظهرين ايمانهم بالزعامة العدنانية او المصرية ، وان كان هـذا التظاهر غير صادق في اكثر الاحوال ، وانما يتذرع به وقت الحاجة ، فاذا ما انقضت بطلت العهود والمواثيق .

وبفعل هذه الحقيقة التاريخية كان راسخـــاً على الدوام في وعي الاحرار اليمنيـــين ، عندما بدأوا حركتهم ضد العهد الامامي ، أن النجاح لن يقدر لهم بغير كفالة تأييد السعودية ومصر ، أيا كانت حكوماتها ، باعتبار هذين البلدين مؤثرين

على الدوام في سير أحداث اليمن تاريخياً ، مهما اختلفت شعارات كل منهما من حقبة لحقبة ، لتبرير التدخل للتأثير ، ولذلك فمنذ مطلع حركة الاحرار وهم يتجهون بآمالهم الى مصر والسعودية لتتدخل بالنصيحة للامام ، فاذا ما قضى على الامام توجه الاحرار يطلبون العون والسند من مصر والسعودية لتثبيت وضعهم ، وبالرغم من الموقف العادي الذي وقفته الحكومتان عام ٤٨ من حركة الاحرار ، فان ذلك لم يغير من هذه الحقيقة عند الاحرار ، ولذلك فانه عندما تناقش الامام احمد مع الاستاذ نعمان حول سبل تغيير النظام الجائر على الفلاحين لم يكن هناك من فكرة واضحة بارزة غير الدعوة للتعاون مع مصر والسعودية .. ولما استؤنفت المعارضة بعد سنة ١٩٥٥ توجهت الى السعودية ومصر تطلب منهما العون والسند من جديد .

ثم تسير الاحداث سيرها ، واذا بمصر والسعودية تلتقيان في اليمن من جديد ، كل منهما على نحو ما بعد ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ .

ولقد يكون من حق المرء ان يتجرأ في الحديث عن نفسه محللا وناقداً ، إذ ليس هناك شريعة ولا قانون ، تحول بين المرء وبين نقده لذاته ، ولكن الحديث عن الغير يكون على الدوام محفوفا بالمكاره كما يقال .. وليس مهماً ان يدقق في تفاصيل

اللقاء المصري السعودي في اليمن بعد ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، وانما المهم ان نستذكر حقيقة خطيرة لا تسيء لأي من البلدين في قليل او كثير .. وهذه الحقيقة بسيطة بساطة متناهية ، على قدر خطورتها البالغة ، وهي ان المصريين والسعوديين بشر اولاً وقبل كل شيء ..

بشر يؤثر فيهم التاريخ ..

وتؤثر فيهم كبرياء البشر ..

وينفعلون بالمخاوف ولو كانت موهومة ..

ويخطئون في التقديرات ..

ولهم أنانيتهم واهواؤهم ..

انهم بشر .. !

بشر .. !

بشر ..

ولقد كانت فاتحة أمل كبير ان تتعهد الدولتان بتأييد كل منهما للاخرى في مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية .. لأن الوفاء بهذا التعهد بين الدولتين أساساً يختزل

لنا الكثير من عوامل الضعف الانساني عندهمـــا في محاولاتها مساعدة أبناء اليمن على وقف النزيف الذي دام في ارضهم اكثر من الف عام واشتدت غزارته في الأعوام الثلاثة الماضية بفضل العون الأخوي .

ومبعث هذا الأمل هو تقديرنا الواعي لأثر الدولتـين في الموقف ، وأثر علاقاتهما مع بعضهما على مواقفهما في اليمن . ومن الصور الأمينة لتقدير الموقف قول بعض السياسيين في حديث له اثناء قيام الجزائر والعراق بالوساطة لدى السعودية ومصر بعد مؤتمر القمة الاول ، وكان الحديث يدور حول نقطة البداية ، أهي تنقية الجو بين القاهرة والرياض ، أو الرياض وصنعـاء ، فقال موجهاً حديثه للوسيط الجزائري يومها :

« لو اعتصرت الامر في قبضتك ، ثم بسطت راحتك ، لما وجدت مكتوبا فيها غير « كرامة » !

ثم أكد الرأي القائل بوجوب البدء بالسعي لتنقية الاجواء بين القاهرة والرياض !

●

ومع أن الاجواء قد أصبحت بين القاهرة والرياض غير

ما كانت عليه سابقاً ، وتوصلت الدولتان الى البيان المشترك الذي أعقبه مؤتمر « اركويت » بين ممثلي الاطراف المعنية في اليمن .. ثم توقفت الامور ، وحركت بعد ذلك باتفاقية جدة ومؤتمر حرض الذي توقف منذ بدأ .. مع كل هذا وبسببه ايضاً يجب ان يواجه الأخوة في الجمهورية العربية المتحدة ، والمملكة العربية السعودية بحقيقتهم البسيطة الخطيرة .. « وهي انهم بشر » ..!

ولأنهم كذلك ، يجب ان يغير اسلوب العمـل لحل القضية اليمنية كلية ..

**انـنا بالنسبة لليمنيين يجب ان نستذكر الحقيقة التاريخية الواقعة . وهي انهم اطراف . وذاك اساس هام في محاولة معالجة القضية ، بحيث تثار كل أوجه المشكلة لوضع الحل الذى يكفل دوام الاستقرار .**

**وبالنسبة للاشقاء العرب ينبغي ان يوقف المد التاريخي الذى يغتال وجود اليمن ويمزق وحدتها ، وأن يستبدل التنافس بالتعاون ، ويكسر الاحتكار بالاشاعة والتعميم ، فتمتد وشائج الأخوة العربية بين اليمنيين وكل اخوتهم واشقائهم العرب..**

اى ان تتولى جميع الدول العربية ـ على نطاق جامعة الدول العربية ـ الاشراف على حل المشكلة اليمنية ، حلا ترتضيه الاطراف . وأشدد على كلمة .. الاطراف المعنية في اليمن ، وهي الاطراف التي سبق الحديث عنها جميعاً ..

وان مؤتمرات القمة العربية المتلاحقة اذا لم تستطع ان تمد يدها لقضية اليمن فانها وبكل تأكيد أعجز من ان تقـــدم على خطوة ايجابية لاستعادة فلسطين .

إن مشكلة اليمن مشكلة عربية صرفة حتى الآن ، والقوى المتحركة على مسرحها قوى عربية لحماً ودماً ، سواء منها ما كان يمنياً او غير يمني ، وتعقيدات اليمن أقل بكثير من تعقيـــدات فلسطين .. واذا كان لبريطانيـا دور في القضية فانما اتسع لها المجـــال عن طريق العرب أنفسهم ، ولو صفيت الاشكالات اليمنية والعربية لما بقي لبريطانيا متسع ، بعكس ما هو الحال عليه في فلسطين .

ان الحل يجب ان يستهدي برأي الاطراف المعنية في اليمن ، وان تتولاه كل الاطراف العربية التي يجب ان تعتبر نفسها معنية .. أما الانفراد والابتعاد فسيجر على اليمن والعروبة

**الويلات الى أمد بعيد ، ولن يقوى العرب في ظل استمرار هذا الحال على مواجهة تبعاتهم القومية في المجالات الاخرى باى حال .**

ان العرب الذين يهفون لاستعادة مكانتهم بـــين أمم العالم لا يمكن لهم ان يظفروا بذلك إلا إذا اجتازوا الامتحان اليمني، فاثبتوا الفعالية في مجال الأخوة المتظافرة ، وتحركوا من أجل السلام بين مواطني قطر عربي ، في موكب واحد لا يطعن فيه أحد بمطعن ، ولا يثير حوله ريبة أو شكاً ، ولا يجدد ذكريات او ينبش أحقاداً .

وليعتبر العرب الذين يعتزون بانتمائهم للعروبة .. ليعتبروا هذه الخطوة الجماعية المسالمة البناءة ، رداً على الخطوة اليمنيـــة قبل التاريخ الاسلامي ، حين أمدت اليمن هذه الأمصار كلها بفيض العروبة الذي يعتز به الجميع اليوم .

لقد نزفت حيوية اليمن وفعاليتها خلال التاريخ ، بالهجرات المستقرة الى اقطار الشام والمغرب ، سواء قبل الاسلام او بعده، وتخلف الضعفاء الذين يستنجدون اخوتهم اليوم عوناً على البأساء والضراء التي يعانون منها اليوم .

ان اليمن للجزائر والمغرب والسودان وتونس وليبيا أقرب من الكونغو وانجولا وموزمبيق وروديسيا .

وان على الجزائر من واجب المساندة للشعب الممزق المقتول ما على السعودية تماماً ، وللكويت من حق التدخل ما للجمهورية العربية المتحدة .. والحق والواجب شائع بين جميع الدول العربية دون استثناء ، فاليمن ليست قطعة أرض زراعية للبيع حتى يكون لمن اقترب منها حق الشفع .

واليمن لسوريا والعراق والأردن ولبنان مثلما هي للسعودية ، فكيف يستجاز أن تظل هذه الاقطار بعيدة عن معالجة القضية اليمنية ؟

وما هي المبررات لهذا الانفراد ؟

وما هي المسوغات لابتعاد الآخرين ؟

ان اليمن المحتاجة للأخوة القومية ايجابية فعالة ، تستصرخ كل عربي اليوم قبل ان تلحق اليمن الحديثة باليمن القديمة ، التي لم نلق آثارها بعد ، فيسجل على الجيل العربي المعاصر عار اغتصاب فلسطين وعار محق اليمن ..!

٢٣ ديسمبر ١٩٦٥ — محمد احمد نعمان

# فهرست المحتويات

صفحة

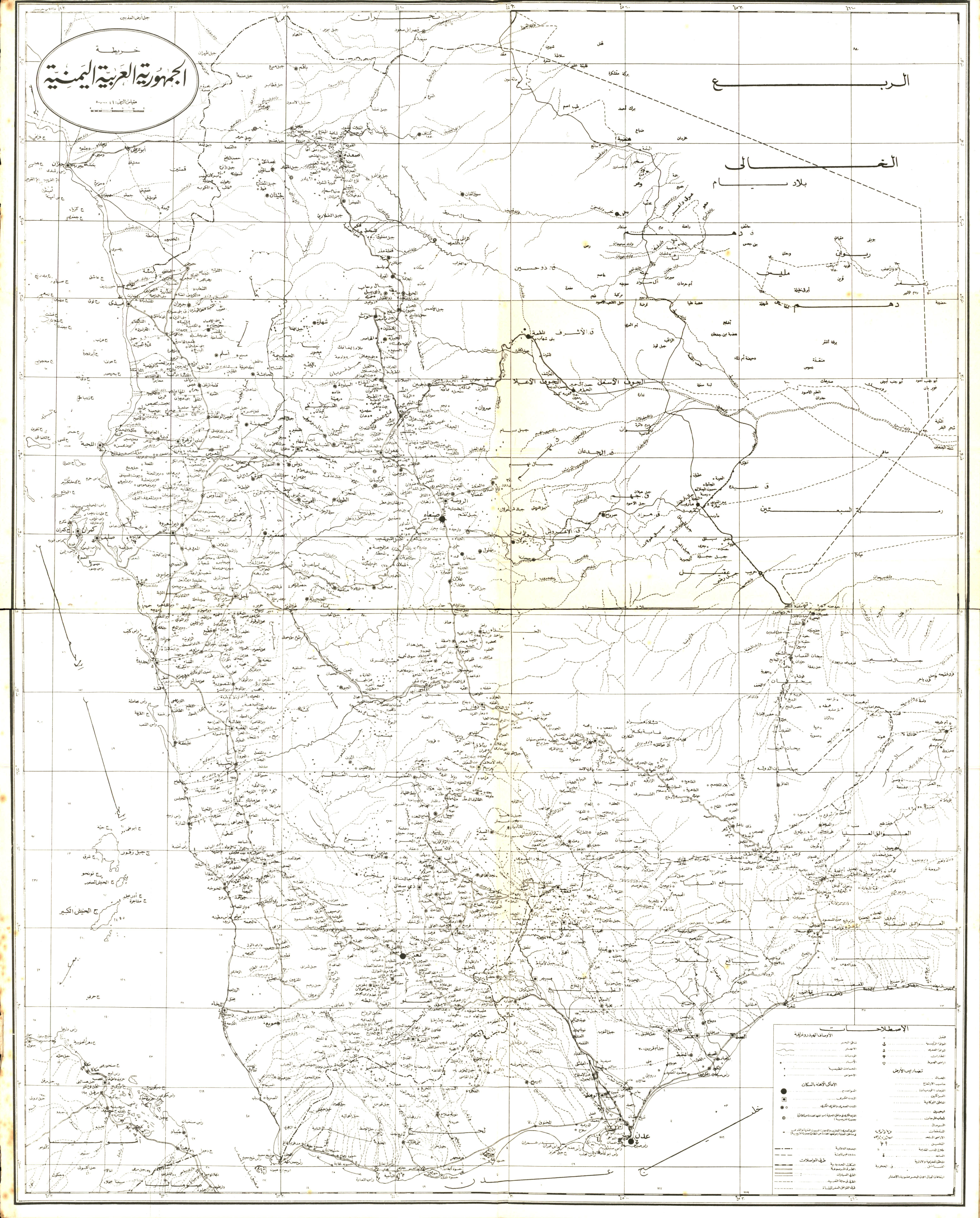
صدر حديثاً عن

منشورات الصبان ــ عدن

تطلب هذه الكتب من :

المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت

ومؤسسة الصبان - عدن



خريطة
الجمهورية العربية اليمنية
مقياس الرسم : ١ : ٥٠٠,٠٠٠
جبل أرض العذيين
جيزان
أبو عريش
الربع
الخالي
بلاد يام
دهم
رملة السبعتين
صعدة
حجة
عمران
صنعاء
مأرب
الحديدة
كمران
زبيد
إب
تعز
المخاء
عدن
الأصطلاحات

# هذا الكتاب

يمر اليمن في هذه الآونة بأحلك وأمر فترة من فترات حياته ، ولقد ظل القارىء العربي طوال سنوات ثلاث خلت في تخبط واضطراب بسبب الاخبار والمعلومات المتناقضة التي تصله من مذياع يسمعه او مقال او بحث ينشر في صحيفة او مجلة عن ذلك الجزء العزيز من الوطن العربي الكبير . ولحرصنا الشديد على احاطة قارئنا العربي بالحقيقة دائما .. وحتى ننقل لابناء امتنا العربية صورة صادقة عن الاوضاع السائدة هناك اعطينا (( القوس بارئها )) واستطعنا ان نأتي بالدراسة التي يراها القاريء بين دفتي هذا المؤلف الذي نجح كاتبه بأن ألقى الاضواء الساطعة على جوانب كبيرة في يمننا السعيد .

ويكفي ان يكون المؤلف : —

- من العاملين في حركة الاحرار اليمنيين .
- شغل مراكز قيادية في (( الاتحاد اليمني )) منظمة الاحرار التي كانت تناهض حكم الامامة قبل قيام الجمهورية في اليمن ، وكان مسؤولا عن التوجيه والنشر .
- اشتغل في السلك الدبلوماسي اليمني ممثلا اليمن في القاهرة ثم بون ومندوبا دائما في الجامعة العربية .
- ولي وزارة شؤون الرئاسة ، ثم عين عضوا في المكتب السياسي ونائبا لرئيس الوزراء .
- عين سفيرا متجولا لجمهورية اليمن .
- كتب فصول الكتاب في القاهرة في مارس ٦٥ ثم حالت ظروف دون طبعه .
- اضاف الفصل الاخير بعد توقف المحادثات في مؤتمر حرض

منشورات مؤسسة الصبان وشركاه

الثمن ٢٠٠ ق.ل